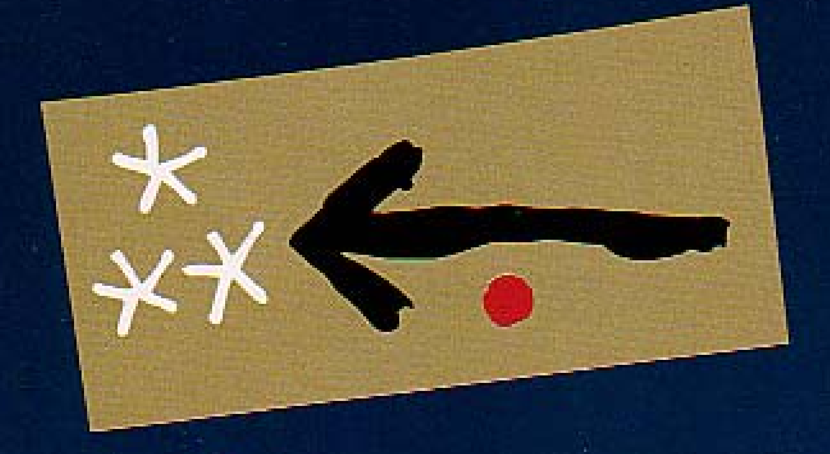
دار الشروق

غريس هالسل

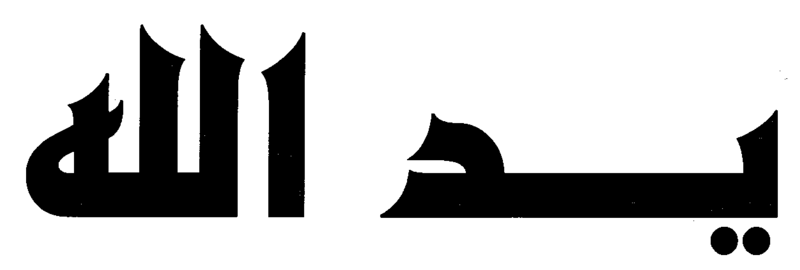


يد الله

لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟!

ترجمة

محمد السماك



يد الله

لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟!

غريس هالسل

ترجمة
محمد السماك

دار الشروق

المحتـــوى

الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة على المجتمع الأمريكي، وعلى أصحاب القرار في البيت الأبيض وفي الكونجرس على حد سواء.

لقد بيّن كتاب النبوءة والسياسة أن الصِّهيونية صهيونيتان، الأولى والأساس صهيونية مسيحية، والثانية يهودية. ويبين كتاب «يد الله» أن اللاسامية لاساميتان، الأولى تكره اليهود وتريد التخلص منهم وإبعادهم بكل الوسائل الممكنة، والثانية تكره اليهود أيضًا بَيْد أنها تريد تجميعهم في مكان محدد، هو فلسطين؛ ليكون هذا المكان مهبط المسيح في مجيئه الثاني المنتظر.

عملت على ترجمة الكتاب بحماس، وأدركت وأنا غارق بين فصوله الأربعة عشر أن قراءة هذا الكتاب، بل دراسته، واجب على كل عربي مسلم أو مسيحي، وأنه يجيب عن علامة الاستفهام الكبيرة التي تلازم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط منذ قيام إسرائيل. وهي لماذا تدوس الولايات المتحدة على مصالحها الحيوية في المنطقة استرضاءً لإسرائيل؟ وكيف ولماذا تجعل الولايات المتحدة من إسرائيل وليس من مصالحها ومبادئها العامة الأساس الثابت لسياستها في الشرق الأوسط؟ ومن الذي يعمل على تعزيز هذا الثابت وتأكيده ورفعه إلى مستوى المقدسات؟

تقدم السيدة هالسل إجابات واضحة عن هذه الأسئلة جمعتها من سلسلة من المقابلات الشخصية التي أجرتها مع عدد من الفعاليات الدينية الأمريكية ومن المراجع الكنسية المتعددة ومن المؤلفات العلمية لكتّاب ومفكرين وصحفيين أعلام. ولذلك فإن كتابها يشكل مرجعًا لا غنى عنه ليس للقارئ العربي وحده، بل للقارئ الأمريكي أولا في الدرجة الأولى. ولذلك لم يكن غريبًا أن يختفي كتابها الأول ـ النبوءة والسياسة ـ من المكتبات الأمريكية بعد وقت قصير من صدوره لقطع طريق وصوله إلى القارئ الأمريكي. ولا يعرف بعد مصير كتابها الثاني ـ يد الله ـ وإن لم يكن من غير المتوقع ألا يواجه نفس المصير.

لم يساورني أدنى قلق في إيجاد ناشر عربي للكتاب. كنت واثقًا من اهتمام الأخوين الصديقين إبراهيم وعادل المعلم، وهو اهتمام لا يعبر عن قناعتهما

مقدمـــة

فتحتُ عيوني في مدينة صغيرة، كنتُ تلميذة في «مدرسة الأحد» وأداوم على حضور القداديس وأستمع إلى الإنجيليين يتحدثون عن يأجوج ومأجوج، وعن الولادة الثانية وعن النار وكبريت هرمجيدون. تصورت إلهًا بقوة خارقة. فالمواعظ التي كنت أستمع إليها ظلّت تهاجمني بقوة أسطورية. وكانت مثل العواصف الرملية التي تضرب غرب تكساس وتسدل عليها ستاراً من الظلام. لقد تقبلت مسيحيتي لسنوات عديدة على أنها جزء لا يتجزأ من كياني، مثل ذراعي أو ساقي، أو جنسي أو لون جلدي.

وإذا كانت أصوليتي جزءاً لا يتجزأ مني فما الكل إذن؟ حتى أفهم نفسي بشكل أفضل أدّيت أدواراً هي للآخر: الآخر الأسود، والهندي، والمكسيكي (المهاجر)[1] غير الشرعي.

في الستينيات كنت أعمل كاتبة في البيت الأبيض، عندما انفجرت إحدى حروب الشرق الأوسط (حرب يونيو ١٩٦٧). لم أكن أعرف الكثير عن الشرق الأوسط خارج قصص العهد القديم. ومع وصول الرئيسين جيمي كارتر ورونالد ريجان إلى سدة الرئاسة أصبح يتردد على مسامعي مزيد من الكلام عن هرمجيدون وعن الولادة الثانية، وبمزيد من التأكيد عن أولئك الذين يمكن أن يجربوا (السعادة المطلقة) أو النشوة الدينية.

تتبعت عبر قنوات التلفاز أولئك الذين كانوا يبشرون بتصميم وباندفاع مقولة: إننا شعب نهاية الزمن، وإننا نحن الذين نعيش هذه اللحظة بالذات قد كتب علينا تدمير تاريخ الإنسانية.

---

(١) الكلمات الواردة بين قوسين هي توضيحات للمترجم.

في خلال طفولتي كنت أركع من أجل الصلاة لإله تصوّرت أنه في السماء. وكنت أدرك أن الله كان أكبر من أن يحده عقلي الصغير في كلمات. لذلك فقد تقبلت القصص التي كنت أستمع إليها وخزّنتها في ذاكرتي. وفي الثمانينيات أردت أن أراجع ما اختزنته في الذاكرة، وحتى أقوم بذلك كان عليّ أن أقوم برحلتين إلى الأرض المقدسة (فلسطين) بقيادة جيري فولويل.

أثمرت رحلاتي وأبحاثي عن كتاب «النبوءة والسياسة» (نشرت دار الشروق الطبعة الرابعة منه في عام ١٩٩٨)، والآن وبعد عقدين تقريبًا من الزمن، أردت أن أعيد النظر في معنى أن أكون مسيحية. قادني بحثي الجديد إلى طرح أسئلة وإلى محاولة الإجابة عن أسئلة محددة أخرى، منها: لماذا يصلي مسيحي مثل جيري فولويل من أجل نهاية العالم؟ وهل يجب علينا أن ندمر هذا العالم تدميرًا كاملا حتى نجد مكانًا لنا في «جنة جديدة وفي عالم جديد»؟ وفي بحثي حول نظرية هرمجيدون، بدأت بأسئلة يمكن أن يطرحها أي شخص «مبتدئ».

لقد قال أحدهم إن أي واحد منا لن يعيش كفاية في هذه الدنيا حتى يصبح خبيرًا أو مرجعًا. نحن جميعًا مبتدئون في معرفة ما هي الحياة وما هو الموت. وحتى أولئك الذين شاخوا منا، فإن العمر قصير بحيث إننا نبقى مجرد هواة. إن أسئلتي وإجاباتي هي لنا جميعا، نحن المبتدئين.

جريس هالسل

الفصل الأول

انتشار عقيدة هرمجيدون

في أثناء صباي كنت أستمع إلى المبشّرين وهم يربطون قصص الكتاب المقدس بأعداء الله. استمعت إلى قصص مجازية وروحانية وأسطورية حول يأجوج ومأجوج، من دون تحديد مواقع يمكن رؤيتها على الخريطة. اليوم، يستطيع جيري فولويل وكذلك هول ليندسي، ممسكًا الكتاب المقدس بيد، والجريدة بيد أخرى، أن يحدد هؤلاء الأعداء ـ الذين لابد أن يغزوا إسرائيل ـ مثل روسيا والصين.

يقول فولويل وليندسي إن الله يريدنا أن نخوض معركة رهيبة تضع حدّاً للتاريخ الإنساني. والآن، مع حوالي اثنتي عشرة دولة تملك السلاح النووي، نستطيع بالفعل أن نقضي على العالم.

ويقول التلفزيوني الإنجيلي بات روبرتسون: إن الكتاب المقدس «يحتوي على إشارات محددة حول أحداث العالم المقبلة»، إنه يتضمن «نبوءات تهزّ الدنيا» فمعركة هرمجيدون «في موقعها»، و يمكن أن تقع في أي وقت لتحقيق نبوءة حزقيال، إنها على استعداد لأن تحدث.. فالولايات المتحدة تقع في هذا المقطع من نبوءة حزقيال.. ونحن نقف على استعداد.

ويكتب المؤلف جون هاجي في «الفجر الأخير» إن نهاية العالم كما نعرفه تقترب منا، «وإن أمريكا رمز لتيتانيك حديثة.. إننا الآن في سباق نحو الكارثة!».

ويعلن القس كين بوغ من «كنيسة ماكلين للكتاب المقدس» حيث يدرّس المدعي العام كنيث ستار (الذي حقق مع الرئيس الأمريكي بيل كلنتون في فضيحة مونيكا لوينسكي) في الصفوف المدرسية أيام الآحاد: «إن النهاية قادمة.. وأعتقد أنه يمكن كثيراً أن تحدث في أيامنا».

* **تشاك سميث**، الذي يبث برنامجه « عالم اليوم » عبر مئات المحطات وكذلك عبر شبكة كالغاري للأقمار الصناعية. وقد أنجبت كنيسته كالغاري في كوستاميسا بكاليفورنيا والتي تضم ٢٥ ألف عضو، أكثر من ٦٠٠ كنيسة منتشرة في الولايات المتحدة، إضافة إلى أكثر من مائة كنيسة أخرى في العالم.

* **راى برد بيكر**، والذي يشرف على برنامج «أخبار الله ما وراء الأخبار» ويصدر مجلة «إضاءات على الأخبار».

* **بول كراوش** الذي يقدم برامج عن نبوءات اليوم الآخر عبر شبكة بث «ترينيتى» إلى البيوت في الولايات المتحدة وعبر الأقمار الصناعية في العالم. ومن الضيوف المنتظمين في هذه البرامج هول ليندسي. كذلك فإن كراوش يقدم صباح كل يوم سبت برنامجًا إذاعيًا خاصًا به من إذاعة لوس أنجيلوس، وينشر مجلة «أخبار العد العكسي».

* **جيمس س. دوبسون**، مذيع ديني في كولورادو، ومؤسس جمعية دينية تهتم بالعائلة، يبلغ عدد المنتسبين إليها أكثر من مليوني عضو. ولها فروع في ٣٤ ولاية. ويبلغ عدد العاملين فيها الذين يتقاضون رواتب شهرية ١٣٠٠ موظف بموازنة سنوية قدرها ١١٤ مليون دولار. وتصل برامجه التلفزيونية والإذاعية الأسبوعية إلى ٢٨ مليون شخص.

* **لويس بالاو**، الذي لفت اهتمام جريدة نيويورك تايمز لقدرته على تجميع عدد كبير من الجماهير، فنشرت الصحيفة صورته على صفحتها الأولى في عام ١٩٩٩ كظاهرة اجتماعية. ويقدر عدد الذين تحدث إليهم في ٦٧ دولة حوالي ١٢ مليون شخص. ويقدم برنامجه التلفزيوني الأسبوعي عبر محطة تلفزة بالاشتراك، كما يقدم برنامجًا إذاعيًا ثلاث مرات في اليوم يبث إلى ٢٢ دولة.

لا يجمع الكهنة المشهورون بعقيدة هرمجيدون أعدادًا كبيرة من المشاهير والمستمعين فقط، ولكنهم يجمعون كميات كبيرة من المال أيضًا، مثال ذلك:

- **أورال روبرتس**، كاهن تولسا؛ أخبر مستمعيه مرة أنه بحاجة إلى ثمانية ملايين دولار، «وإلا فإن الله سوف يستدعيني إليه». وقد استجاب أتباعه وأرسلوا إليه المبلغ المطلوب.

- **و.أ.كريسول**، أسقف الكنيسة المعمدانية الأولى في دالس، والتي تضم ٢٦ ألفًا من المؤمنين، قد أبلغ أتباعه مرة أن على الكنيسة التزامات مالية لتسديد فواتير الكهرباء وسواها تبلغ قيمتها مليون دولار. وقد جمع كامل المبلغ في يوم واحد في خلال قداس يوم الأحد.

- **بات روبرتسون**، الذي بنى شبكة البث المسيحية (س. ب. إن. - C.B.N.) في فرجينيا بيتش وهي محطة تجمع سنويًا حوالى ٩٧ مليون دولار كأرباح معفاة من أي ضريبة. وقد استحدث ضمن إطار هذه الشبكة «المحطة العائلية» التي تعتبر سابع أكبر محطة بالاشتراك في الولايات المتحدة، وهي تقدم برنامج روبرتسون «نادي السبعمائة»، وهو برنامج يقول عنه الكاتب روبرت بوسطن: «إنه يتناول قضايا الدين بنسبة ما يتناول قضايا السياسة»، وفي عام ١٩٩٧ باع روبرتسون «المحطة العائلية» لتلفزيون فوكس بمبلغ ١,٩ مليار دولار.

ويشير بوسطن في كتابه عن حياة روبرتسون «الرجل الأخطر في أمريكا» إلى أن المال الذي جمع من البرامج الدينية المعفاة من الضرائب موّل أو وفر الأساس لمشاريع أخرى بما فيها مشاريع ذات طبيعة سياسية، وخاصة لدى «التحالف المسيحي». فالتحالف المسيحي، بموازنة قدرها ٢٥ مليون دولار سنويًا، أصبح لديه ١,٧ مليون عضو و ١٦٠٠ مركز في ٥٠ ولاية.

ويقول بوسطن: «إن هذا التحالف يشكل منفردًا المنظمة السياسية الأوسع نفوذًا في الولايات المتحدة».

كان روبرتسون يدافع بإصرار عن موبوتو الرئيس والدكتاتور الزائيري السابق. فهو يملك منجمًا للمجوهرات في زائير، كما يدير مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب توفر خدمات السفر حول العالم باسم «عملية البركة».

وفي عام ١٩٩٩ أثارت عضو برلمان ولاية فرجينيا جانين د. هوولّ قضية إعفاء

«عملية البركة» من الضريبة عندما أفاد طيارو المؤسسة أن بعض الطائرات تستخدم بصورة رئيسية لنقل معدات لمنجم المجوهرات الذي يملكه روبرتسون.

وفي عام ١٩٨٨ ترشح روبرتسون للرئاسة الأمريكية، وفي عام ١٩٩٩ أصبح رئيسًا لواحد من المصارف الكبرى، ويخطط الآن لإقامة مصرف وطني جديد بالتعاون مع بنك أسكوتلندة، بحيث إنه يتعامل مع زبائنه بالهاتف والإنترنت، ولذلك لن يكون بحاجة إلى فروع له. وقد اعتمد هذا الأسلوب ذاته لجمع التبرعات لمحطته التلفزيونية .C.B.N وكذلك للتحالف المسيحي الذي يعتبر ذراعه السياسي. وقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر بتاريخ الثالث من مارس ١٩٩٩ أن روبرتسون سوف يكون أحد المساهمين الرئيسيين فيها وأنه سيكون رئيسًا للشركة الأمريكية القابضة في الصحيفة.

تنافس الكتب عن هرمجيدون، شهرةً، روايات جون جريشام، بل وتتفوق عليها مبيعًا. لقد بيع من كتاب هول ليندسي «الكرة الأرضية العظيمة المأسوف عليها»، أكثر من ٢٥ مليون نسخة. فالكتاب الذي كان الأوسع انتشارًا في السبعينيات، لا يتقدم عليه في حجم المبيعات سوى الكتاب المقدس. وتمّ إنتاج فيلم سينمائي عنه يحمل نفس الاسم تولى كتابة السيناريو فيه أورسون ويلز وعدد آخر من أمثاله. كتب ليندسي أربعة كتب أخرى بما فيها كتاب «هناك عالم جديد آت»، وفي كل هذه الكتب يؤكد على حتمية هرمجيدون.

وفي نهاية التسعينيات ترك الإنجيلي تيم هاي أربعة كتب تتناول موضوع النشوة الدينية لدى «المسيحيين المولودين ثانية» بيع منها ثلاثة ملايين نسخة تقريبًا.

وتقول صحيفة «الناشرون الأسبوعية»: إن «شهرة هذه الكتب تشير إلى أنها انتقلت من الجمهور المسيحي إلى الجمهور العلماني من خلال الإقبال عليها في محلات تجارية مثل وال مارت وتارجيت وك. مارت وهذا يعني أنها تفشّت في ثقافتنا».

«كنائس الكتاب المقدس»: تعتبر كلية اللاهوت في دالس مصدر العقيدة التي تقول إن الله يطلب منا تدمير الكرة الأرضية، وقد تخرج منها العديد من القساوسة الذين يبشرون الآن بعقيدة هرمجيدون في أكثر من ألف كنيسة من كنائس الكتاب

المقدس، وتنتشر هذه الكنائس في طول الولايات المتحدة وعرضها وهي مستقلة تمامًا عن أي جسم كنسي آخر. إنها متصلة فقط بمؤسسة الزمالة الدولية «لكنائس الكتاب المقدس».

وتبين «الويب سايت» أن ولايات ميتشيجين ونيوجرسي وبنسلفانيا هي من الولايات التي يتواجد فيها أكبر عدد من «كنائس الكتاب المقدس»، وقد كتب تيري ايستلند في صحيفة وول ستريت جورنال (١٢ فبراير ١٩٩٩) أن لمعظم «كنائس الكتاب المقدس» صلات روحية مع كلية اللاهوت في دالس التي خرّجت بصورة مباشرة أو غير مباشرة معظم قساوسة هذه الكنيسة.

يقدر عدد الأصوليين في الولايات المتحدة بحوالي ٥٠ مليونًا، إنهم منتشرون في العديد من العقائد المسيحية. غير أن أشد المدافعين عن عقيدة هرمجيدون حماسة هم الذين ينتمون إلى الحركات الإنجيلية وإلى الحركات الدينية المتسلطة. وتمثل هذه الحركات في الوقت الحاضر الفرع الأسرع نمواً من الأصولية بين مسيحيي شمال أمريكا.

وفي هذه الفروع النامية من المسيحية فإن لاهوتيين بارزين وقساوسة ورؤساء مدارس كهنوتية يدرسون العقيدة ذاتها التي يدرسها قادة متشددون أمثال جيم جونز الذي قال لأتباعه حين كان يقودهم إلى الموت: «إن النهاية ستصل بسرعة. لذلك دعونا نرافقها. دعونا نسبق الحشود».

إن شهرة عقيدة هرمجيدون تجاوزت ما يسمى «المعتوهين» ووصلت إلى أرفع مستوى في السلطة الحكومية.

ففي كتابه «بما يكفي من المعاول: ريجان، بوش، والحرب النووية»، يذكر روبرت شير أن وزير الدفاع كاسبار وينبرجر سئل في عام ١٩٨٢ عن هرمجيدون فأجاب: «لقد قرأت سفر الرؤيا (أحد كتب العهد القديم). نعم، إنني أعتقد أن العالم يتجه نحو النهاية بعمل من الله كما آمل. وفي كل يوم أشعر بأن الوقت بدأ ينفد».

ويقول الباحث المؤرخ ديف ماك بيرسون: إن خطر عقيدة هرمجيدون يكمن في «أنها عقيدة قاتلة ومعدية». مثالا على ذلك، استطاع هيربرت ارمسترونج في

نهاية الستينيات وفي بداية السبعينيات أن يقنع الآلاف من أتباعه بتسليم ممتلكاتهم إلى كنيسته «كنيسة الله العالمية»؛ وذلك على أساس الاعتقاد بأن العالم يتجه نحو النهاية. ويقول تيد دانيال رئيس تحرير نشرة «تقرير نبوءات الألفية» في فيلادلفيا: «إن الناس الذين يعتقدون بنهاية العالم قريبًا، يقومون بأعمال غريبة». فحتى عام ١٩٩٩ سجل دانيال أكثر من ١٢٠٠ حركة من هذا النوع. من بين هذه الحركات الدينية في الولايات المتحدة وفي غيرها:

* حركة «هاي أوجو» الكورية وهي حركة ماورائية توقعت أن يشهد عام ١٩٩٢ نهاية الطريق السوي إلى الجنة، وبداية مرحلة جديدة لبقية العالم مبنية على النبوءة (في العهد القديم).

* تنظيم مذبح الشمس، وهي جماعة ألفية (تؤمن بعودة المسيح وبسيادته لمدة ألف سنة على العالم)، وقد نظمت هذه الحركة في عام ١٩٩٤ عملية قتل وانتحار جماعي في كل من سويسرا وكندا، قتل من جرائها خمسون شخصًا، كان بعضهم يزين صدره بميداليات ترمز إلى الخيالة الأربعة التي تشير إليهم نبوءة سفر الرؤيا؛ وهم يمثلون بصورة عامة المسيح، والحرب والمجاعة، والموت.

* «الداودية» (نسبة إلى رئيسها دافيد كورش)، وهي حركة كان أفرادها يعيشون خارج (مدينة) واكو ـ تكساس، وفي إبريل ١٩٩٣ اقتحمت العناصر الفيدرالية مجمعهم فكانت الحصيلة مقتل ٨٠ عضوا من هذه الحركة.

* «بوابة السماء» انتحر ٣٩ عضواً من أعضاء هذه الحركة في عام ١٩٩٧ في ضاحية (مدينة) سانتياجو، وتركوا وراءهم وثائق تقول إن العالم كان شريراً وإنه محكوم عليه بالدمار الحتمي.

* «صوت في البراري» وهي حركة ألفية في ميلفورد (نيوهامشير) تدعو أتباعها إلى عدم زرع الأشجار أو التخطيط للمستقبل وذلك على أساس أن «العالم لن يبقى بما فيه الكفاية حتى يكون لمثل هذه الأعمال ما يبررها».

* « مدينة الوهيم» وهي مدينة أشبه بالحصن تقع بالقرب من (مدينة) ليتل روك (أركنساس) حيث يعمل ويصلي ويقوم بأعمال ميليشياوية حوالي مائة من

الحركة الدينية الأسرع نموًا في أمريكا

توجد حركة دينية جديدة في أمريكا. لا تتشكل هذه الحركة مما يسمى «بالمعتوهين» ولكن من الناس العاديين، من الطبقة الوسطى والعليا من الأمريكيين. إنهم يقدمون ملايين الدولارات ويستمعون إلى الإنجيليين التلفزيونيين الذين يطرحون المفاهيم الأصولية للحركة. إنهم يقرءون هول ليندسي وتيم لاهاي. إن لهم هدفًا واحدًا : وهو الأخذ بيد الله ليرفعهم إلى السماء محررين من كل المتاعب من حيث يراقبون هرمجيدون ودمار الكرة الأرضية. إن هذه العقيدة تطغى على كنائس بارزة مثل إسمبلي أوف جاد (الملتقى الإلهي)، وبنتوكوستال (كنيسة العنصرة)، وكذلك على الكنيسة المعمدانية الجنوبية وعلى الكنيسة المعمدانية المستقلة، وعلى ما لا يحصى من الكنائس الأخرى التي تحمل صفة المعمدانية. ومن بين كل عشرة أمريكيين يوجد أمريكي يتفانى في التزامه بتعاليم هذه الحركة الدينية. إنها أسرع نموًا من سائر الحركات الدينية المسيحية اليوم.

- دال كراولي - الابن - مذيع ديني - واشنطن العاصمة.

الإنجيلية

إن الغالب على الحركة الإنجيلية أنها حركة أصولية في عقيدتها. وهي تضم الآن ربع الراشدين من الشعب الأمريكي تقريبًا.

- وليم مارتن، أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة رايز

منتدى الحملة الصليبية من أجل المسيح

يموّل حركة منتدى الحملة الصليبية من أجل المسيح التي يقودها بيل برايت، أثرياء كبار أمثال نيلسون بانكر هانت و ت.جوللن دافيز. وتتجه هذه الحركة بسرعة نحو هدفها بجمع مليار دولار لحمل التعاليم المسيحية إلى كل شخص في العالم. ويقوم ١٦ ألف أكاديمي مسيحي — يتزايدون بنسبة أكاديمي واحد في كل يوم — بعمل ثقافي خاص بكلفة ملياري دولار سنويًا.

ويستقطب المبشّرون الرئيسون ما لا يقل عن ٢٠ مليونًا، كما أن مساهمات المدخرات تزيد على نصف مليار دولار.

- جرانت ووكر - التقاليد الإنجيلية في أمريكا.

نمو المسيحية الإنجيلية

ربما تزيد نسبة نمو المسيحية الإنجيلية على أي اتجاه ديني آخر في العالم بما في ذلك الأصولية الإسلامية. إننا نشهد أسرع توسّع للمسيحية في التاريخ . إنه توسع أكبر بكثير من موجات التبشير الماضية.

- داميان طومبسون - نهاية الوقت : العقيدة والخوف في ظل الألفية.

ربما نكون الجيل الذي

سوف يرى هرمجيدون

« ربما نكون الجيل الذي سوف يرى هرمجيدون »

ـ الرئيس ريجان، متحدثًا في عام ١٩٨٠ إلى الإنجيلي جيم بيكر

فكروا في الأمر ! ٢٠٠ مليون جندي على الأقل من الشرق، مع ملايين أخرى من قوات الغرب. من الإمبراطورية الرومانية المتجددة (أوروبة الغربية) ! سيضرب المسيح أولئك الذين اجتاحوا مدينته القدس. ثم سيضرب الجيوش المتكدسة في وادي مجيدو أو هرمجيدون. لا عجب أن يسيل الدم ليصل إلى ألجمة الخيل على طول مسافة ٢٠٠ ميل من القدس !.. إن هذا الوادي سوف يُملأ بالآلات الحديثة، وبالحيوانات وبأجساد الرجال والدم !

يبدو الأمر غير معقول ! إن العقل البشري لا يستطيع أن يتصوّر هذا القدر من لاإنسانية الإنسان تجاه الإنسان، مع ذلك فإن الله سوف يمكّن طبيعة الإنسان من أن تكشف عن نفسها في ذلك اليوم. إن كل مدينة في العالم سوف تدمر. لندن، باريس، طوكيو، نيويورك، لوس أنجيلوس، شيكاغو، سوف تمحق تمامًا.

ـ الكاتب هول ليندسي

إسـرائيل : المسـرح المـركـزي

الفصل الثاني

ما هي هرمجيدون ؟

من أجل معرفة المزيد عن عقيدة هرمجيدون شددتُ الرحال في عام ١٩٨٣ مع ٦٢٩ أمريكيًا آخر وتوجهت إلى أرض المسيح في رحلة بإشراف جيري فولويل. بعد نزولنا في تل أبيب، نقلتنا حافلات كبيرة، كل مجموعة من خمسين شخصًا في اتجاه الشمال إلى مجيدو على بعد ٥٥ ميلا إلى الشمال من تل أبيب وبمسافة ١٥ ميلا بعيداً من شاطئ البحر المتوسط.

في أثناء الطريق تعرفت إلى «كلايد» وهو رجل أعمال متقاعد من مينابوليس في أواخر الستينيات من عمره. إنه خريج جامعة وخدم كضابط في الجيش في أثناء الحرب العالمية الثانية. يبلغ كلايد ستة أقدام طولا، وهو ذو طلة جميلة يعزوها إلى خدمته في الجيش.

عندما وصلنا إلى مجيدو، ترجلنا من الحافلات وتوجهنا إلى تل صغير يغطي طبقات متتالية من بقايا جماعات قديمة. «لاحظ كلايد أن التلّ كان مَوْقعًا لمدينة كنعانية قديمة»؛ وأننا نقف على الطرف الجنوبي من سهل كبير يدعى أسَدريليون، وهو مذكور في الكتابات المقدسة باسم وادي جيرزيل. وقال كلايد بلهجة المؤرخ الواثق: إن مجيدو كانت في العصور الغابرة مدينة على درجة كبيرة من الأهمية، وإنها كانت تقع على مفترق استراتيجي عسكري، كما كانت ممرّا للقوافل، وإن الطريق الساحلي الذي يربط مصر بدمشق وبالشرق كان يمرّ عبر وادي مجيدو.

«ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا المكان شهد من المعارك في التاريخ أكثر مما شهده أي مكان آخر في العالم. وكان الغزاة الأقدمون يقولون: إن القائد الذي يسيطر على مجيدو يستطيع مقاومة كل الغزاة».

إننا نقرأ في يشوع ١٢/ ٢١ كيف أن يشوع والإسرائيليين هزموا الكنعانيين في معركة واحدة، ويتابع قائلا: «وبعد قرنين من الزمن انتصرت القوات الإسرائيلية بقيادة ديبورا وباراك في المعركة على القائد الكنعاني سيسيرا. وكما نعرف فإن الملك سليمان عمل بعد ذلك على تحصين المدينة جاعلا منها مركزاً عسكريّاً لأحصنته ولعرباته. وفي التاريخ القريب، شهدت هذه المنطقة معارك مهمة. فمع اقتراب الحرب العالمية الأولى من نهايتها في عام ١٩١٨ حقق الجنرال البريطاني اللنبي انتصاراً أساسيًا على الأتراك هنا في مجيدو».

تابعت مجموعتنا السير إلى النقطة المفضّلة المطلّة على وادي جيزريل، والذي يمتد عميقًا في اتجاه الشمال الغربي. هنا صاح كلايد بتأثر: «وأخيراً.. إنني أشاهد مسرح المعركة النهائية الكبرى».

سألته: كيف عرفت أن هذا الموقع هو مسرح هرمجيدون؟

فردّ قائلا: «من الاسم، خذي الاسم مجيدو وأضيفي إليه الكلمة العبرية «هار» ومعناها الجبل، فتحصلي على عبارة تعني جبال مجيدو أو هارمجيدو». وهذا يترجم إلى كلمة هرمجيدون.

إنني لم أكن أرى أي جبل. ولكن لأننا كنا ننظر إلى واد فإن النقطة المرتفعة التي نقف عليها يمكن بسهولة اعتبارها «هار». مع ذلك سألت كلايد: ألا يعقل أن يكون لفظ «هارمجيدو» اسمًا لجبل مجيدو، أي اسمًا لمكان، وليس لحدث؟.. فردّ قائلا: «لا. لا. إنه الموقع الذي يعني كل الأمم، وسيكون موقع المعركة الأخيرة بين قوات الخير بقيادة المسيح وقوات الشر».

اعترفت لكلايد كغيري من الملايين بأنني طالما سمعت الكثير عن هرمجيدون، ولكن رغم معرفتي بالكلمة (هرمجيدون) فإنني لا أعرف مصدرها، فأوضح كلايد:

«تعرفين أننا نجد كلمة هرمجيدون مرة واحدة فقط في الكتاب المقدس، وفي سفر الرؤيا وبالتحديد في الفصل ١٦، الآية ١٦. ويقرأ كلايد الآية: «وجمعهم في مكان يدعى باللسان العبري هرمجيدون».

إن احتلال كلمة هرمجيدون هذه الأهمية المميزة في حياتنا دعاني إلى أن أحدد مصدرها. مع ذلك فإنني مرتبكة، فالعهد القديم لا يذكرها، وسفر الرؤيا يتحدث عن «مكان» يدعى هرمجيدون، إلا أن كلايد يصرّ على أن هرمجيدون تعني معركة:

«كتب القديس يوحنا سفر الرؤيا. وكما تعرفين فإننا نحصل منه على معظم المعلومات عن هذه الأيام الأخيرة التي نمرّ بها».

إنه يقدم لنا صورة كاملة عن هذه المعركة النهائية التي ستخاض هنا بالتحديد، وتذكرين أنه في رؤياه عن هذه المعركة كتب يقول: «تهاوت مدن الأمم، وتناثرت الجزر وتلاشت الجبال».

«وهكذا فإن الله استخدم يوحنا ليقدم لنا وصفًا جيداً عما ستكون عليه هذه المعركة النهائية». ويتابع كلايد مستشهداً بالكتاب المقدس، فيتحدث عن أربعة من الملائكة في نهر الفرات، وعن جيش من «مائتي ألف ألف» محارب يمتطون الجياد التي تنفث ناراً ودخانًا وكبريتًا.

«إن هذا الجيش الشرقي الذي سيتحرك باتجاه الغرب لمدة سنة واحدة سوف يغزو ويدمر معظم المناطق المأهولة في العالم قبل أن يصل إلى نهر الفرات».

«وتخبرنا رؤيا ـ الآية ١٦ أن نهر الفرات سوف يجف مما يمكّن ملوك الشرق، والشرقيين ـ من اجتيازه إلى إسرائيل».

ورددت وراءه متسائلة: «ملوك الشرق؟». لقد توجه ذهني إلى المنطقة من العالم الواقعة إلى الشرق من الفرات، إلا أنني لا أذكر أنه بقي اليوم ملوك في هذه المنطقة. ففي أيامنا كان شاه إيران آخر ملوك شرق الفرات. كان هناك ملوك أيام يوحنا، أما اليوم فلم يعد هناك ملوك، ولذلك تساءلتك ألا يشير ذلك إلى أن يوحنا كان يكتب لعصره وليس لنا؟

ردّ كلايد: لا. لا. «يمكن فهم «ملوك» بمعنى قادة، رؤساء دول». ومن الواضح أن كلايد لا يأخذ بالتفسير الحرفي هنا للكتاب المقدس. ومن دون أن أشدد على هذه النقطة، واصل كلايد روايته قائلا: إن الملوك ـ أو القادة ـ سوف يحركون هنا في مجيدو أعظم الجيوش في تاريخ العالم. كانت عيناه تلمعان وكان

صوته يضيء وهو يتحدث عن ملاك يفرغ قارورة في نهر دجلة الكبير فتجفّ مياه النهر؛ مما يسمح لجيش عرمرم باجتياز النهر إلى الضفة الثانية.

«إن دراسة النبوءة تُرينا كيف أن الله أطلعنا مسبقًا على كل التطورات. إن كل ما نقرؤه اليوم عن الأحداث التي تقع في العالم تشير بوضوح إلى قرب وقوع هذه المعركة».

«وفي هذه المعركة الأخيرة ـ وهذا ما يمكن فهمه من خلال دراسة زكريا وسفر الرؤيا ـ فإن قوى أمم الأرض قاطبة سوف تحارب المسيح الملك وقدّيسيه الممجدين. وكما نعرف فإن المسيح في المعركة الأكثر دموية في التاريخ سوف يدمر الملايين!!».

ومن أجل أن يؤكد على صحة قوله، يستشهد كلايد بالكتاب المقدس ٨/ ٢ :

«وبعد ذلك سوف يكشف عن ذلك الشر الذي سيلتهمه الله بروح فمه، وسوف يدمره بوهج مجيئه».

تعليقًا على ذلك قلت لكلايد إن المسيحيين لم يولوا من الاهتمام قولا وعملا لأي مكان عدا الجنة وجهنم، ما أولوه لفكرة هرمجيدون.

وفيما كنت وكلايد نتحدث كان أعضاء الوفد الآخرون يجلسون على الأرض أو على الصخور يتأملون الوادي بما فيه من حقول للقمح والشعير وأشجار الفاكهة، كان المكان يبدو هادئًا ومسالمًا، إلا أن تصرفات كلايد وأقواله كانت تشير إلى أن العالم سوف يواجه الانفجار الكبير لا محالة. كان واثقًا من التفاصيل ومن الأرقام بشأن الحريق الأخير.

غير أن خوض هذه المعركة سوف يتم في حقل يمتد أمام ناظرينا، في سهل من الصغر بمكان بحيث يمكن أن يكون جزءاً من مزرعة في نبراسكا، ويمكن أن يقع كله في واحدة من مزارع تكساس. فقلت لكلايد وأنا أنظر إلى هذا السهل المزروع، إنه أصغر كثيراً من أن يكون مسرحًا للمعركة الفاصلة الأخيرة.

فردّ قائلا: «آه، لا، إنه ليس صغيراً جدّاً. يمكن حشد الكثير من الدبابات هنا».

فقلت : دبابات ؟ وكذلك كل جيوش الأرض ؟

ردّ كلايد : «كل ذلك. عليك أن تتذكري أنها ستكون أعظم معركة على الإطلاق. سيموت هنا ملايين عديدة».

ـ وهل ستبدأ من هنا من مجيدو حرب نووية تدمر العالم ؟

أجاب : نعم. إننا نقرأ ذلك في حزقيال، في الفصلين ٣٨ و٣٩. إنه يصف الحرب النووية بقوله «إنه ستكون هناك أمطار فيضانية وبرد، وسيكون هناك نار وكبريت». وسوف «تهتز الأرض بقوة» وتتهاوى الجبال وتتساقط الجدران على الأرض مع كل نوع من أنواع الرعب. إن حزقيال لا يشير في ذلك إلى ما هو دون تبادل القصف بالقنابل النووية التكتيكية !!

لقد هزّ كلايد بتأكيداته تلك شعوري بالواقعية. فسألت كلايد : هل يمكن تصورّ المسيح كأنه جنرال بخمسة نجوم يتوق إلى استخدام السلاح النووي ؟

أجاب : نعم، في الواقع نستطيع أن نتوقع أن يبادر المسيح إلى توجيه الضربة الأولى. سوف يستخدم سلاحًا جديداً. وسيكون لهذا السلاح نفس النتائج التي تسببها القنبلة النيوترونية. إننا نقرأ أن جلودهم سوف تذوب وهم وقوفًا على أقدامهم، وأن عيونهم سوف تتلاشى في جحورها وأن ألسنتهم سوف تشوى في أفواههم. إن هذا ما يحدث لضحايا الانفجار النووي، لقد كان زكريا على علم مسبق بذلك.

وسألت كلايد أيريد أن يقول إن المسيح نفسه سوف يوجه الضربة الأولى ؟ وقبل أن يجيب انتصب واقفًا وقال : «نعم. هذا صحيح».



الإيمان بهرمجيدون

أظهر استطلاع للرأي أجرته جامعة أكرون في عام ١٩٩٦ حول الدين والسياسة أن ٣١ بالمائة من المسيحيين يؤيدون الاعتقاد بأن العالم سوف يجد نهايته في معركة هرمجيدون. وهذا يعني أن ٦٢ مليون أمريكي يوافقون على هذا النظام الإيماني.

- جامعة أكرون - البروفيسور جون جرين.

الروسي. وستتحول جثث الملايين منهم إلى طعام للطيور الكاسرة من كل نوع».

وسألت من جديد: أستكون إسرائيل قادرة على أن تطيح بيأجوج، أى بالشعب الروسي، وأن تدمر مأجوج ـ أي الأمة الروسية نفسها؟

«نعم، مع حلفائها. فما إن تبدأ روسيا بالغزو حتى تبادر أمريكا وبريطانيا إلى نجدة إسرائيل. إننا نجد ذلك في سفر دانيال ١١/ ٣٠. ويقرأ كلايد نصًا يشير إلى سفن راسية في «شيتيم» التوراتية. ويقول: «إنها قبرص، ونحن نعرف أن البريطانيين والأمريكيين يستخدمونها قاعدة لأساطيلهم، وبذلك يستطيعون بسهولة أن يتحركوا لمساعدة إسرائيل. وليست روسيا وحدها التي ستغزو إسرائيل بل هناك دول أخرى، وكلها دول شمالية، ويشمل ذلك أرض «غومر»، ونعرف أن هذه الأرض هي ألمانيا في العصر الحديث. إن هذه كلها سوف تدمر خلال فترة المحنة الكبرى».

ويتابع كلايد قائلا: «ستكون هناك سبع سنوات من العذاب الرهيب إلى حد الاندثار. ثم إن كل المعاناة والدمار هو مجرد بداية، إنه مجرد رفع الستار عن المعركة الأخيرة».

لقد أقلقني تصويره لروسيا وللشعب الروسي على أنه العدو رقم واحد لإسرائيل، وبالتالي العدو رقم واحد للرب. فذكّرته بأننا نتحدث عن السلام مع روسيا، فردّ قائلا: «لن يكون هناك سلام، حتى يعود المسيح، ويجلس على عرش داود».

❑ ❑ ❑

المحنـة الكبـرى

إن الأهداف الكاملة للدولة يمكن ضربها بإطلاق سرب من صواريخ كروز. إنه تطوّر رئيس في الحرب الحديثة، وفي الوقت المناسب تمهيدًا للمحنة الكبرى.

ـ ليون باتس ـ مشروع للبقاء

ستكون المحنة الكبرى أكثر مأساوية من الهولوكوست.. ستكون يوم انتقام الرب من عالم غير مؤمن.. إن المحنة هي من أجل إسرائيل.

ـ الكاهن كين باخ من الكنيسة ـ فرجينيا

وهكذا، فإن الكتاب المقدس يعلمنا أنه ستكون هناك حرب نووية خلال المحنة الكبرى (؟) بالتأكيد! وسوف يقتل ثلث الإنسانية بالنار والدخان والكبريت،.. وسوف تبتلع النار قبلهم (من ؟) الجيش الشمالي – الجيش الروسي – الذي يتحرك باتجاه إسرائيل. إن نار غضبه سوف تبتلع الأرض كلها (زيفانيا ١٨ / ١). ثم حذار، سيأتي اليوم الذي سيكون فيه الحريق كالفرن (مالاشي ١ / ٤). لذلك فإن العهد القديم والعهد الجديد على توافق بشأن الهولوكوست النووية.

ـ جاك فاناإميب ـ تلفزيوني إنجيلي

الفصل الرابع

من هو عدو المسيح ؟

في مؤتمر للقساوسة عقد في ١٥ يناير ١٩٩٩ في كينجزبورت ـ تنيسي، وحضره ١٥٠٠ شخص، قال جيري فولويل: إن عدو المسيح ـ الذي صور لنا قبل ألفي عام على أنه متوج بالشر ـ يمكن أن يكون يهوديًا يعيش بيننا اليوم. «إنه بالتأكيد يهودي». فإذا كان عليه أن يكون خصمًا للمسيح فعليه أن يكون يهوديًا. وقال فولويل: «إن كل ما نعرفه أنه يجب أن يكون ذكرًا ويهوديًا».

وفي ملاحظة توضيحية قدمها بعد انتقاد جماعات يهودية، قال فولويل: «لأن المسيح جاء إلى الأرض أول مرة قبل ٢٠٠٠ عام كيهودي، فإن معظم الإنجيليين يعتقدون أن عدو المسيح سوف يكون بالضرورة يهوديًا ذكرًا.

ليس فولويل سوى واحد من كثيرين حاولوا تحديد هوية عدو المسيح. فهناك اعتقاد راسخ في ضمائر الملايين من المسيحيين بأنه يوجد، وأنه كان يوجد دائمًا، عدو للمسيح. لقد ساعدني كلايد رجل الأعمال المتقاعد من مينابوليس لفهم نظرية العداء للمسيح.

«ينبئنا سفر دانيال عن عدو المسيح: إننا نذكر في حلم نبوخذنصر قصة «القرن الصغير» الذي يخرج من الوحش. ويخبرنا دانيال عن «الأمير الذي سيأتي». وعندما يتحدث دانيال عن الشرير الذي يسبب الخراب، نفهم أنه يعني بذلك عدو المسيح الذي يشوّه المعبد في القدس.

«نجد في الفصل ١٣ من سفر الرؤيا وحشًا بسبعة رءوس وعشرة قرون يخرج من البحر. له شكل الأسد والدب والفهد معًا. ثم يعطي الشيطان لهذا الحيوان سلطة واسعة ويمكّنه من أن يخوض الحرب ضد القديسين لتحقيق الكثير من العجائب وليتفوق على جميع القبائل والشعوب والأمم».

وسألت : هل يسيطر في خلال المحنة الكبرى ؟ فردّ قائلا : «نعم . سوف يحكم في خلال السنوات السبع من المحنة الكبرى ، وسوف يطبع علامة على اليد اليمني أو على جبين كل شخص ، صغيراً كان أو عظيمًا ، غنيّا أو فقيراً ، حرّا أو مقيداً» . ثم يقرأ من النصوص الدينية : «هنا الحكمة . دع ذاك الذي يدرك أن يحصي عدد الوحوش ذلك هو رقم الإنسان ، والرقم هو ستمائة ثلاثة أضعاف وستة» .

وهنا أقول إننا حصلنا على «علامة الوحش» وعلى الأرقام المميزة ٦٦٦ .

«إني أعتقد أن الطليعة الأولى من حرس أعداء المسيح موجودون بيننا الآن . إنهم يجعلون من هذا الرقم مكونًا لنظام عالمي معاد للمسيح ، فإذا نظرنا من حولنا نجد أن هذه الأرقام الثلاثة موجودة على ما لا يحصى من المنتجات والأشكال المالية . نجد استعمالا متزايداً للرقم ٦٦٦ حول العالم كله .

ويتابع كلايد : «لا يمكن تصور قدرة عدو المسيح على الإمساك بدفة القيادة» . «سوف يكون مؤثرًا جدّا وخطيبًا مفوّهًا ، فالمستمعون إليه سوف يخضعون لقوة تنويمه المغناطيسية ، وبصفاته الأخّاذة . سوف يستخدم أجهزة مراقبة متطورة جدّا . ومع كل تقنيتنا المتقدمة ستكون له السيطرة على العالم بطريقة يستحيل على أي جيل سابق أن يقوم بها ، وفي البداية سوف يسيطر عدو المسيح على عشر أمم أوروبية » .

وسألت : في البداية عشر أمم ؟

فرد قائلا : « إننا نجد ذلك في دانيال ٧ . إن دانيال يخبرنا عن قرون الوحش . فمع التقارب الأوروبي نجد أن الرؤية تتحقق . أولا ، قام الاتحاد الأوروبي الغربي في عام ١٩٤٨ ، وقام الناتو (حلف شمال الأطلسي) في عام ١٩٤٩ ، وقام الاتحاد الأوروبي الاقتصادي ، أو السوق المشتركة في عام ١٩٥٧ . إن ذلك هو عودة ظهور الإمبراطورية الرومانية في العصر الحديث . إنه دليل على صدقية الكتاب المقدس . إننا نشهد واحدة من أكثر نبوءات الكتاب المقدس دهشة وغرابة » .

فقلت : إذن ، وباختصار ، فإن عدو المسيح يخدع الجميع . فرد قائلا : «سوف تقع كل شعوب العالم أسيرة براعته وذكائه وقدرته على السيطرة . أعتقد أنه سيخرج من رومانيا . إن له شخصية شيطانية بالمطلق » .

وسألت : هل يكون عدو المسيح شيطانًا أو إنسانًا ؟

فردّ : «سيكون واحداً منا، إنساناً حقيقياً، ليس مرادفاً للشيطان، أي ليس ذا قوة روحية. غير أن الشيطان يساعده. فعدو المسيح هو إنسان شرير بالكامل».

وتساءلت ثانية : إن من يسيطر على الأرض، يجب أن يسيطر أولا على جميع قادة العالم، وأعتقد أن ذلك صعب؟

فأجاب كلايد : «لا. سيكون الأمر هيناً. ومن اليسير شرح ذلك. فللقادة أهداف جيو-سياسية ولكنهم مدفوعون بروح شيطانية». وفي هذه الحالة فإنهم يمثلون الأرواح الشيطانية للملائكة الساقطين الذين اتبعوا لوسيفر (إبليس) في تمرده على الله. وبعد أن تسيطر هذه الأرواح الشيطانية على عقول قادة الدول، فإن هؤلاء القادة مع جيوشهم سوف يتحولون من غير علم منهم إلى مخالب لهم».

وحتى أطمئن إلى أنني أتابع طريقه بشكل سليم قلت (لكلايد) : يبدو أن عدو المسيح هو الذي سيضع الأرواح الشيطانية في قادة دول العالم.

فأجاب : «نعم. هذا صحيح».

قلت : ومن الطبيعي أن يسيطر على جيوش العالم أيضاً، بعد أن يسيطر على قادة العالم قاطبة.

فردّ كلايد : «نعم. سيقود عدو المسيح قوات الشر في المعركة الأخيرة مترئساً جميع جيوش العالم. لا يمكن أن نتصور الدمار والمعاناة. سوف تطلق جهنم عنانها!.. بحيث تبدو كل الحروب السابقة غير ذات معنى. إن الله وحده يعرف كيف سيقضي على مئات الملايين من الناس. سوف يقضي عليهم بشكل تام، وبعد ذلك سوف يرسل الله المسيح الذي سيذبح عدو المسيح، وفي ساعة واحدة سوف يدمر الأرض كلها.

وسألت أخيراً : إن معنى عدو المسيح إذن هو أن يبرهن الله عن نفسه من خلال ابنه بالانتصار على الشر؟

فردّ كلايد مؤكداً : «إنه كذلك».

❑ ❑ ❑

مطابقة القيم على الأحداث الجارية

يقومَ الافتتان المسيحي بعدوّ المسيح على قاعدة الإيمان بأن الشر المطلق يمكن أن يتحقق في إنسان فرد واحد أو حتى في الجماعية الإنسانية ». ومع أن للعديد من المجتمعات إيمانها بالتجليات الشيطانية، فإن لدى المسيحية وحدها صورة عن العميل الإنساني الفاسد بالكامل والذي يلعب هذا الدور الكبير.

فالنظرية الكارثية المسيحية «تضفي على الأحداث الجارية قيمًا بحيث إن الصراعات الحالية تبدو صورًا أو نماذج للمعركة الحاسمة الأخيرة بين قوات الخير والشيطان»، وبالنسبة إلى بعض المسيحيين فإن عدو المسيح هو، إضافة إلى ذلك، وسيلة للإعراب عن «حقدهم ومخاوفهم».

مع الانقسام في المسيحية الغربية فإن الكاثوليك والبروتستانت كانوا يتبادلون التراشق بصفات عدو المسيح. ومع أن فكرة عدو المسيح لدى الكاثوليكية تحتلّ حيّزًا ضئيلا جدًا في هذا القرن فإن الاعتقاد بفكرة عدو المسيح لدى البروتستانت هو اعتقاد قوي، لدى الأصوليين منهم خاصة.

- برنارد ماك جيني - عدو المسيح، «ألفا عام من إعجاب الإنسان بالشيطان»

فولويل وعدو المسيح

لماذا يقود عدوّ المسيح جيوش العالم ضد المسيح ؟

أولا: لأنه يكره سيادة الله. فالمعركة كانت دائمًا بين الشيطان والمسيح، تلك هي المسألة. ثانيًا: لأن تضليل الشيطان سوف يُخضع هذه الأمم. ثالثًا: بسبب كراهية الأمم هذه للسيد المسيح.

وفي رؤيا يوحنا، يبدو لنا المسيح على هيئة رجل يمتطي حصانًا أبيض. ورأى يوحنا وحشًا في منامه. وبينما تقترب هرمجيدون، حيث يموت الملايين، فإن السيد المسيح سيلقي بالوحش وبالنبي الدجال - عدو المسيح، في بحيرة من نار وكبريت ملتهب.

- جيري فولويل - تلفزيوني إنجيلي

عدو المسيح على التلفزيون

إن إعلان عدو المسيح عن مصيره العالمي سوف يأتي من خلال مؤتمر صحفي عالمي متلفز تنقله الأقمار الصناعية.

ـ هيلتون سانون ـ تلفزيوني إنجيلي

من هو عدو المسيح ؟

* في عام ١٥٣٠ وصف مارتن لوثر (مؤسس الكنيسة الإنجيلية) البابا بانه عدو المسيح، كذلك فإن جون كالفن (مؤسس الكنيسة الكالفينية الإنجيلية) ربط بينهما. كما فعل في العصور المتأخرة إيان بيسلي في أيرلندة الشمالية.

* في العصور الوسطى قال بعض مفسري الكتاب المقدس إن عدو المسيح يجب أن يكون مسلمًا، فيما قال آخرون بانه يهودي.

* في الأربعينيات كان الوصف لهتلر. وقال بعضهم إن ياجوج هو حليف غومر كما ورد في سفر حزقيال ٣٨، مشيرين بذلك إلى ألمانيا.

* وكان الوصف لموسوليني قد لقى تأييدًا أوسع، وذلك عندما مارس السلطة في روما وبدأ إحياء الإمبراطورية الرومانية.

* وغالبًا ما ألقي الوصف على ستالين مع نصوص تعتبر الشيطان ياجوج على أنه يعني روسيا. ومع مرور السنوات حلّ جورباتشوف محل ستالين.

* وفي أيامنا الحالية يعتبر صدام حسين المفضل لهذا الوصف ولا سيما لدى أولئك الذين يعتبرون صدام مثل نبوخذنصر وعاصمته التاريخية بابل.

الفصل الخامس

ما هي السعادة المطلقة؟

في خلال جولة (في الأرض المقدسة بفلسطين) نظمها فولويل، تبيّن لي أن ثمة اختلافًا بين الأصولية التي رافقتني منذ مطلع حياتي والنظام الإيماني الذي يتمسك به رفاق الرحلة. ففي الدرجة الأولى فإن أتباع فولويل يتمسكون بفكرة عن «النشوة الدينية» هي حديثة تمامًا ومختلفة كليّا. ولقد اعتمدت على أحد رفاق الرحلة ويدعي براد - عمره ٣٥ سنة أعزب وهو مواطن من جورجيا - ليساعدني على فهم أفضل للدور المركزي الذي تلعبه النشوة الدينية في حياته وفي حياة الملايين غيره من الذين يشاطرونه هذه العقيدة.

يعمل براد في الاستثمارات المالية ومهمته مساعدة الآخرين على رسم أفضل الطرق لتحقيق أرباح من استثمار أموالهم. ولبراد أطباع جيدة، فهو يختلف عن غيره من المتدينين المتعصبين الذين يلجئوَن إلى الجدال لأنهم لا يستطيعون النقاش. فبراد يتكلم بصوت هادئ ورنان. فهو يتحدث بطلاقة عن معتقداته، فيقول «إنه في الزواج يفترض أن يكون الرجل هو الرئيس». وفيما يتعلق بالشاذين يرى أن ذلك نوع من أنواع المرض.

دارت معظم نقاشاتنا إما حول المائدة أو في أثناء الانتقال في الحافلات، وكان محورها الكتاب المقدس، و الكنيسة التي ينتسب إليها براد وهي كنيسة بنتوكوستل (الكنيسة العنصرية نسبة إلى عيد العنصرة عند اليهود) أو كنيسة المحفل الإلهي.

قال لي براد: «إذا كنت تفهمين النبوءة، يمكن أن تعرفي كيف قسم الله التاريخ الإنساني إلى مراحل محددة زمنيًا. إن كل عصر من هذه العصور مقدر إلهيا. فأنا فخور بأن أكون مؤمنًا بما هو مقدر إلهيًا، (أن أكون قدريًا) وجيري فولويل هو أكثر

القساوسة القدريين شهرة اليوم. والاستثناء قليل. وبالنسبة إليّ كنت أجد صعوبة في فهم الكتاب المقدس، أما الآن فإن الأمر يبدو منطقيّا؛ وذلك لأنني تعلمت التمييز بين هذه العصور الزمنية».

«إننا نرى في كل عصر، وفي كل ما هو مقدّر، نظامًا متقدمًا. وفهمنا الكامل لهذه الخطة يكشف لنا كيف يتعامل الله مع الإنسانية».

وتابع براد: «إن الله يختبرنا. ففي كل مرحلة من المراحل الزمنية يمتحن الله الإنسان لمعرفة مدى طاعته».

وسألت: هل تعني مدى طاعته لوصايا المسيح؟

فردّ قائلا: «لا. تتعلق هذه الامتحانات بطاعة الإنسان لما هو مقدّر، أي لوقائع محددة مما يريده الله. وهذه الوقائع تتعلق بإسرائيل. أولا، فإن الله يتوقع عودة اليهود إلى بيتهم (وطنهم) وتلك كانت الخطوة الأولى. ثانيًا، كان يجب أن تقوم دولة يهودية. وثالثًا، إن علينا نحن ـ المسيحيين ـ أن نبشر الأمم كلها بعقيدتنا الدينية، بما في ذلك إسرائيل.

فقلت عندئذ: إنني أتوقع أن يكون الحدث الرابع هو حدوث النشوة الدينية في أي وقت.. وقبل أن أتابع لأقول بعد المحنة الكبرى.. هزّ براد رأسه بشدة مؤكدًا.

فقلت: غير أن معظم الكهنة المسيحيين يقولون في دروسهم الدينية إن النشوة الكبرى سوف تحدث بعد المحنة الكبرى. فقال: «إن المسيحيين الأوائل فهموا الأمر فهمًا خاطئًا. فقبل أن تعم العالم الحروب والمعاناة، فإن المسيح سوف ينزل وينتزع أتباعه انتزاعًا. لن نموت نحن أولا. إن أولئك الذين «يولدون ثانية» سوف يحررون من كل قلق بشأن المحنة الكبرى، وسنوات الحرب والدمار».

أعترف أنني أفهم مدى الارتياح إلى نظرية «ما قبل المحنة» التي تؤكد لمعتنقيها أنه ليس مقدراً عليهم البقاء لمواجهة الهولوكوست ـ محرقة يأجوج ومأجوج، وهرمجيدون.

يوافق براد على ذلك ويقول: «مما يثلج القلب معرفتنا أن الذين سينجون منا لن يعانوا ولو للحظة واحدة من عذاب الأيام الأخيرة».

لقد ناقشت نظرية «النشوة الدينية» مع عدد آخر من أتباع فولويل بمن فيهم كلايد، رجل الأعمال المتقاعد من مينا بوليس.

ويبيّن كلايد، الذي يبدو أنه يحفظ عن ظهر قلب الكثير من نصوص العهد القديم والعهد الجديد، أن عبارة «النشوة الدينية» ليست موجودة في النصوص الدينية، ولكنها تعني «اللحاق بـ» ؛ إنها تشير إلى مشهد جرى وصفه في ثيسالونيا الأولى (١٧ـ١٦/ ٤)، ويقول: «إن السيد نفسه سوف ينزل من السماء وبصرخة يطلقها كبير الملائكة وببوق الرب. وسيقوم أولئك الذين ماتوا وهم مؤمنون بالمسيح، وبعد ذلك فإننا نحن الذين بقينا على قيد الحياة سوف نجتمع معهم في السحب لمقابلة السيد في الهواء».

وسألت كلايد هل يعتقد أن نشوته الدينية يمكن أن تحدث في أي وقت، فأجاب: «إن ذلك صحيح، فإن النشوة الدينية قد تحدث في أي وقت. إنني أعتقد أنها ستكون الحدث التالي».

وعدت إلى السؤال: هل إيمانه بالقدر وبنشوة تسبق المحنة يتطلب عودة إضافية للمسيح؟

فقال: «نعم بشكل ما. سيأتي للمرة الثانية ليأخذ قديسيه، ثم سيعود بالتأكيد للقتال في هرمجيدون. ولكن لا داعي لإحصاء عدد المرات التي يأتي بها من أجل النشوة الدينية، فسوف يحقق ذلك في السماء».

وسألت: كيف سيقوم المسيح بعملية الانتقاء والاختيار؟

فأجاب: «إنني أمارس لعبة الجولف في فلوريدا مع جار لا يؤمن أن المسيح هو المنجي. إنني أشهد عليه بأن المسيح يستطيع أن ينقذه من العقاب الأبدي وأحذّره من أننا نقترب من نهاية الزمن. إننا نقرأ في سفر يوحنا: أيها الأطفال، إنها الساعة الأخيرة.. وعندنا كذلك كلمات المسيح نفسه «نعم، إنني قادم بسرعة».

وضرب مثالا آخر فقال: «لنفترض أنني كنت أقود سيارتي مع صديق لم ينقذ عندما تقع المحنة الكبرى، والتي أتوقعها في أي وقت. فسوف أُرفع وحدي إلى السماء من داخل السيارة، وسوف تذهب السيارة أشلاء، ويقتل صديقي في الصدام».

ويقول كلايد : «في الوقت الذي أتنعم فيه بالنشوة الدينية الكبرى، وبسعادة اللقاء مع المخلّص يحرم صديقي من كل ذلك».

كان كلايد قد أخبرني أن زوجته توفيت قبل عامين، فسألته عما إذا كانت هي أو أي فرد آخر من أفراد عائلته ينعمون بالخلاص فقال : «لا. إن ذلك يزعجني. فلا زوجتي قبل وفاتها ولا ابني وأولاده اعترفوا بأن المسيح هو المخلص. سأكون في الجنة، وأكره أن أقول إنني لن أراهم».

كان كلايد يتحدث عن الناجين وعن غير الناجين بصوت هادئ. كان واثقًا بأن الرب الذي يؤمن به سوف يعطي كل أولئك الذين ماتوا، وكل أولئك الذين يعيشون اليوم، أي كل أولئك الذين لم يولدوا ثانية، قسطهم من العقاب الأبدي.



الفصل السادس

من هو المؤهل للسعادة المطلقة ؟

إذا كان بالإمكان تجنّب معاناة اليوم الآخر بالنجاة، فإن الولادة الثانية تصبح إذن على درجة كبيرة من الأهمية (لأن النجاة تكون بالولادة الثانية). ولكن كيف يحدث ذلك ؟

بصورة عامة، إذا قلتُ أنا، أو إذا قلتَ أنت للآخرين: إنني مسيحي أو مسلم أو بوذي أو يهودي ،فإن ذلك يجعل منك واحداً. فالآخرون يتقبلونك على أساس ما وصفت به نفسك، وعلى هذا الأساس أيضًا فإننا نعتبر «الناجين» على أساس ما يصفون به أنفسهم. إن جيري فولويل يقول إنه من الناجين، وكذلك روبرت باترسون، وهول ليندسي، وجيمي سواجرت، وتوماس د. آيس وكل الأصوليين الإنجيليين. وغالبًا ما يتحدث شاك سميث، القس المؤسس لكنيسة الفرسان في كوستاميسا بكاليفورنيا على أنه من الناجين، وكذلك شاك ميسلر وهو رجل أعمال وخبير في الحاسوب (الكمبيوتر)، وجاك فان إيمب من شبكة بث ترينيتي (الثالوث)، وجيمس دوبسون من كولورادو، وهو أحد أكثر المذيعين الدينيين شهرة. ولقد أشار كل من الرؤساء جيمي كارتر ورونالد ريجان وجورج بوش إلى تجربته «كمولود ثانية». وكذلك أشار إلى تجربته في ذلك تشارلز كولون الذي شارك في قضية وترجيت (قضية التنصت التي جرت في عهد الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون على مقر الحزب الديمقراطي وأدّى انكشافها إلى استقالة الرئيس نيكسون من الرئاسة الأمريكية)، والدريم كليفر قائد حزب بانثر (الفهود) المحظور، وناشر مجلة هسلر لاري فلينت، والسيناتور السابق عن (ولاية) أوريجون، مارك هاتفيلد، وفعل ذلك أيضًا، أوليفر نورث (عضو مجلس الأمن القومي الأمريكي السابق في عهد الرئيس ريجان والذي أخضع للمحاكمة والتحقيق بتهم خرق الدستور في عملية تسليح مقاتلي الكونترا في أمريكا الوسطى

من أموال حصل عليها من دول نفطية عربية)، والنائب العام المستقل كينيث ستار (الذي حقق مع الرئيس بيل كلنتون في قضية مونيكا لوينسكي الأخلاقية) وكثير غيرهم من قادة الحزب الجمهوري المحافظين بمن فيهم ترنت لوت ودوم ديلاي.

في عام ١٩٨٦ وصف ٤٨ بالمائة من الجنوبيين (سكان الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة) أنفسهم بأنهم مسيحيون مولودون ثانية، بالمقارنة إلى نسبة أقل قليلا في المناطق الأخرى. إن المؤمنين بعقيدة الولادة الثانية ينتمون إلى جميع الطبقات الاجتماعية والاقتصادية. وقد أظهر أحد الاستطلاعات أن ٥٠ بالمائة من متخرجي الكليات الأمريكية ينتظرون عودة المسيح. ولاحظ منظمو استطلاع جالوب وكاستللي في عام ١٩٨٩ أن الولايات المتحدة هي تقريبًا نسيج وحدها في العالم الغربي من حيث الجمع بين مستويات عالية من الثقافة ومستويات عالية من الإيمان والنشاط الديني. ولقد ذكر وليم جيمس، وهو أحد المفكّرين التربويين في كتابه: «نماذج التجارب الدينية» أن التجربة الدينية التي تبدو تأكيداً للثقة، تأتي غالبًا على شكل إلهام فردي وشخصي، ولعل أحسن ما يمكن أن توصف به تجربة «الولادة الثانية» هو من خلال القصص الشخصية.

تجربتي الشخصية

ترعرعتُ في مدينة صغيرة تضربها الرياح، تقع في أعالي سهول غرب تكساس الجرداء، ومن خلال استيعابي للعبارات والمفاهيم الإنجيلية أصبحت أصولية مسيحية. لقد تعلمت أن كلمة الله تأتي إلينا من الكتاب المقدس مجردة من كل خطأ في الترجمة أو في الطباعة. فقد أخضع كل حرف من حروفه للتدقيق. ولقد تردد على مسامعي مراراً أن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ. وكطفلة لم أكن أعرف معنى الكلمات ولكنها غرزت عميقًا في ذاكرتي.

وفي سنوات نموّي لم يكن غريبًا لرجل مثل والدي أن يبادر شخصًا غريبًا عنه ـ وحتى دون مقدمات التحية ـ بالسؤال: «هل أنت مسيحي؟.. وهل أنت ناج؟».

في أحد فصول الصيف، وكان عمري تسع سنوات، قمت بزيارة بيت جدّي في أرلينجتون، وهو يقع بين دالس وفورت وورث، وكانت أرلينجتون في تلك الفترة قرية هادئة يعيش فيها عدد قليل من الناس يعرف بعضهم بعضًا.

في أحد الأيام جاء إلى المدينة مبشّر مشّائي عرف بلقب الأخ تيرنر، حيث تولى التبشير من خيمة له أقامها في المدينة. كنت أحضر كل ليلة مع جدتي دروس الخيمة.

كان الأخ تيرنر يبشر، في مواعظه، بالنار والكبريت، ويخبرنا أن العالم منقسم إلى شرير وفاضل، وأنه محكوم على الشرير بجهنم. غير أن المسيحيين «المولودين ثانية» سينجون من النار الأبدية. وكان يحذرنا: «تُب أو مت». لقد كنا جميعًا مأخوذين بحديثه. لم يكن لدينا في ذلك الوقت جهاز راديو أو تلفزة أو أي نشاط ثقافي عام. كنا نعتمد، إلى درجة كبيرة، على إحيائيين كالأخ تيرنر ليقدموا لنا المعرفة والمفاهيم.

كنتُ أشعر في كل ليلة بالإثارة وبتوقعات مخيفة، وفي الليلة الأخيرة، حمل الأخ تيرنر نسخة كبيرة من الكتاب المقدس بيده اليسري ونقل مباشرة منه كلامًا عن الرب ثم طلب من الذين لم يعترفوا علنًا للمسيح أن يتقدموا إلى الأمام.

لم يتقدم أحد. فطلب منا الأخ تيرنر أن نجلس، ثم سأل السيدة تريبليت عازفة البيانو (في الكنيسة) أن تواصل العزف فيما كنا نحني رءوسنا جميعًا. وبعد أن طلب من أولئك الذين عرفوا أنهم نجوا رفع أيديهم، عاد وطلب من أولئك الذين لم يرفعوا أيديهم أن يتقدموا إلى الأمام لينجوا. كان الجميع مشغولين بأمري في تلك اللحظات، وفجأة وكأن قوة خارجية تحركني، خرجت من مقعدي الخشبي وتقدمت، منفردة، إلى حيث كان المبشّر الإنجيلي واقفًا. ما إن وضع ذراعيه حولي، حتى سارعت جدتي والجيران والأصدقاء لمعانقتي. كنت أرتجف بلا إرادة، وكانت الدموع تنهمر على مقلتي.

كتبت جدتي إلى والدي تطمئنه إلى أنني قد نجوت. ومع انتهاء فصل الصيف عدت إلى لوبوك.

تجربة والدي

كنت في خلال طفولتي أستمع باستمرار إلى والدي وهو يتحدث عن تحوّله، الأمر الذي سجله في واحد من كتبه «راعي البقر وأرض الماشية»: «وقع لي، وأنا في السنة الثالثة عشرة من عمري، حادث كانت له آثار عميقة على مسيرة حياتي فيما

بعد. كنت عائداً من المدرسة إلى البيت عندما سمعت صوتًا يقول لي هذه الرسالة : «ابتداء من هذه الساعة سوف تكون مسئولا عن كل ما ترتكبه». لماذا توجه الصوت إليّ ؟ . . كان سقراط يقول إنه استمع إلى اصوات أيضًا وكان أمينًا لهذه الأصوات ومات وفيًا لأمانته، وقال يوحنا المعمدان : «لست إلا صوتًا». ولقد قضت تلك النفس الشجاعة وفاء للصوت. كذلك جاءت الأصوات إلى جان دارك. الحجة التي جاءت إليّ في السنة الثالثة عشرة من عمري لازمتني كأداة تحذير حتى العام ١٨٧٤ . في ذلك الوقت كنت أملك عربة ومجموعة من الحيوانات وكنت أنقل بضائع من دالس في خلال أوقات فراغي لأكسب قوت عيشي.

وفيما كنت جالسًا مساء يوم في الشرفة الأمامية سمعت مبشراً من الكنيسة الميثودية ـ المنهجية ـ يحض المذنبين على التقدم نحو المذبح، كان اللقاء يعقد تحت عريشة مصنوعة من الأغصان المقطعة. لم يسبق لأحد أن حدثني عن هذه الأمور سوى ذلك الصوت الصامت. وفجأة، دفعني الإيمان بقوة لأتوجه نحو العريشة وإلى المذبح.

عدت بعد ذلك إلى فراشي تلك الليلة وأنا مشغول بإعداد العربة والحيوانات للتوجه إلى دالس ثقة مني بأن اللقاء سينتهي لدى عودتي. وبسبب انصرافي للعمل فقد تجاوزت تلك المؤثرات حتى عودتي بعد خمسة أيام. وصلت إلى البيت بعد الظلام فأطعمت الحيوانات في الإسطبل ثم تناولت العشاء في المطبخ وتوجهت بعد ذلك إلى الشرفة الأمامية يخامرني شعور بالكبرياء بأنني أقوم بعمل شريف ولهدف شريف. وفجأة سمعت الصوت ثانية. جاء هذه المرة بقوة عشرة أضعاف، فركضت لا ألوي على شيء، وارتميت أمام المذبح وبقيت هناك في حالة يرثي لها لليلتين متواليتين، إلى أن انبثق النور فوقي وغمرتني سعادة صبح يوم جديد.

لقد أشرقت شمس اليوم التالي كإشراقة الذهب وحولها هالة من القداسة. لقد بدأت أحب الأزهار والناس والطبيعة كما لم أحبها من قبل. هناك شيء واحد أعرفه، في أثناء تلك الليلة الرائعة من عام ١٨٧٤ تحولت بصورة شاملة من الطبيعة الظلماء إلى الضوء الرائع لمخلوق جديد.

التجربة اليابانية

تشكل تجربة والدي بولادته ثانية، كما تمثل تجربتي الشخصية، نماذج لقصص مماثلة لتلك التي أعرف أنها جزء من الوسط الذي أعيش فيه ؛ فأنا أتقبلها كجزء من نسق حياتي، فهي بالنسبة إليّ حقيقة كالشمس والمطر. كانت جزءاً مما حدث للناس، على الأقل للناس الذين أعرفهم.

في أحد الأيام وجدت نفسي وحيدة في محاولتي شق طريقي ككاتبة في اليابان، كان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، كان اليابانيون فقراء، وكان لباسهم متشابهًا، وهو اللباس الذي كان الأمريكيون يصفونه بأنه بيجاما سوداء. جاء بيلي جراهام إلى طوكيو. كان ذلك قبل أن يكون لليابانيين محطة تلفزة وكانوا لا يعرفون إلا القليل عن أمريكا وعن الأمريكيين باستثناء امتلاكهم للقنبلة النووية التي أسقطت عليهم وسببت هزيمتهم في الحرب. كانوا تواقين لمعرفتنا معرفة حقيقية، بماذا نؤمن كأمريكيين؟

تحدث جراهام أمام جمع كبير بواسطة مترجم. كنتُ الأمريكية الوحيدة بين حوالي عشرة آلاف مستمع. نظرت من حولي فرأيت مجموعة من الناس يتميزون بلون شعرهم الأسود وعيونهم السوداء وملابسهم السوداء.

لم يسمع أحد منهم سوى القليل جدّاً عن الولادة الثانية إلى أن جاء بيلي جراهام إلى طوكيو. وخلافًا لما كان عليه الأمر مع عائلتي وأصدقائي في تكساس، فلم تكن «النجاة» همّاً من همومهم.

لقد قدمتُ قصة تجربتي وتجربة والدي لأبيّن أن ذلك كان يعبر عن نوع إيماننا الديني. ولكن ـ وكما رأيت في حملة بيلي جراهام في طوكيو ـ فإن حزامنا الإنجيلي لم يصل إلى اليابان. ولكن ذلك تغير في العقود الأخيرة. ففي عصرنا الحاضر غزا الإنجيليون من خلال المذياع والتلفزة زوايا العالم قاطبة. واستناداً إلى وليم مارتن أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة رايز «فإن الأصوليين والإنجيليين بمن فيهم أتباع كنيسة العنصرة البنتاكوست يشكلون حوالي ٩٠ بالمائة من جميع البعثات التبشيرية الإنجيلية التي تعمل في أراضٍ أجنبية».

❑ ❑ ❑

الفصل السابع

براد وإنجيل سكوفيلد

خلال زيارتي للحج في الأراضي المقدسة (المسيحية في فلسطين) تحت إشراف فولويل، لاحظت أن براد كان يحمل معه صباح كل يوم الكتاب المقدس، الذي وصفه لي بأنه الإنجيل المرجعي لسكوفيلد.

فسألته يومًا: هل هذا الإنجيل يختلف عن نسخة الملك جيمس مثلا؟ فرد براد شارحًا: «يساعدنا سكوفيلد على فهم مقاطع قد لا تبدو لنا واضحة»، ثم يفتح النسخة التي يحملها ويشير إلى كيف أن سكوفيلد كتب إنجيله من خلال إضافة تفسيراته إلى جانب النص الإنجيلي.

وبما أن براد «مولود ثانية» وبما أنه يؤمن بأن الكتاب المقدس معصوم في كل كلمة من كلماته، وأنه مجرد عن أي خطأ، فماذا عن كلمات سكوفيلد المزروعة فيه؟ لقد تساءلت: ألا تشكل ملاحظاته المرجعية نفسها التي هي للنص؟ وهل براد يوافق على اعتبار الملاحظات معصومة من الخطأ أيضًا؟ فردّ براد: «لقد أوضح سكوفيلد الأمر وضوح البلور. فقد تنبأ الآخرون بعودة اليهود إلى فلسطين في الأيام الأخيرة، غير أن سكوفيلد وجد أن العودة ضرورية جدًا. وفيما كان سكوفيلد يقرأ الكتاب المقدس شعر بأن بعض الفقرات التي كان يقرؤها كانت تكشف له عن خطوات معينة يحتاج المسيحيون إلى اتخاذها من أجل تسريع عودة المسيح، وفي الوقت الذي كانت هذه الكلمات تبدو واضحة له، كان واثقًا من أن الكثيرين غيره ربما لم يكونوا على هذا القدر من الاستيعاب، وهكذا من أجل إظهار هذه المعاني، ومن أجل أن يجعل الكتاب المقدس واضحًا كالبلور حول ما يريده الله قبل أن يرسل ابنه في رحلة العودة، فكر سكوفيلد بإدخال ملاحظاته وأفكاره الخاصة. وهكذا أصبح بإمكاننا أن نفهم أحداث اليوم في ضوء ما سبق للكتاب المقدس أن أخبرنا به».

فسألته : وهل من أجل ذلك يطلق عليه اسم الإنجيل المرجع ؟ فردّ براد : نعم . وعندما طبع للمرة الأولى في عام ١٩٠٩ أصبح أكثر الأناجيل انتشاراً في المسيحية كلها ؛ فقد بيع منه عدة ملايين من النسخ .

وسألت : هل باستطاعة براد أن يوجز أفكار سكوفيلد ؟ فأجاب : « لقد رأي الحياة كلها من البداية إلى الأبدية . رآها مفتوحة أمامه في العصور المقدّرة» .

ـ وهل رأى كل الأحداث الرئيسة المتمحورة حول إعادة إسرائيل إلى الوجود؟

ـ « نعم ، هكذا هو الأمر . فعلى اليهود أن يفعلوا ما يجب أن يفعلو ه حتى يعود المسيح» .

وعدتُ إلى السؤال : وماذا بعد الانتصار في هرمجيدون ؟

فردّ براد : « سوف يجلس المسيح على عرش الملك داود» .

ـ في معبد يهودي ؟

ـ نعم . سوف يحكم العالم وهو جالس على عرش داود .

في أحد الأيام، عندما كنت في بلادي في الولايات المتحدة كنتُ أتسلق مدرج كلية اللاهوت في دالس، وهي عبارة عن بناء إداري أخّاذ، عندما طلب مني مقابلة الرئيس الدكتور جون فالوورد، وهو رجل مؤثر في السبعينيات من العمر معتز بدوره كأستاذ لتلميذه الشهير هول ليندسي . قال فالوورد وهو يحمل كتاباً مقدساً كبيراً : «إن الله لا ينظر إلى جميع أبنائه بنفس الطريقة » .

فسألته : ماذا عن المليار مسلم في العالم ؟

فأجاب: لقد أخبرني الله أن له مخططاته لليهود وللمسيحيين، وليس لغيرهم، ما لم يصبحوا مسيحيين . لقد أعد الله خططاً سماوية للمسيحيين، وخططاً أرضية لليهود .

فسألته : أي خطط أرضية لليهود ؟ . . فأجاب : « إعادة إقامة إسرائيل» .

يَعَدُّ فالوورد وغيره من الأصوليين المسيحيين أن إقامة إسرائيل في عام ١٩٤٨ كان تحقيقاً لنبوءة توراتية . فقد أعلنوا أن ذلك يعتبر إشارة مؤكدة أن ساعة

النبوءات التوراتية تدق وأننا نقترب بسرعة من الأحداث الأخيرة التي تقود إلى عودة المسيح.

يقول العديد من المسيحيين الذين شبّوا على القَدَرية إنهم يدركون أن هذه العقيدة ليست مسيحية. ومن أمثال هؤلاء دايل كراولي (الابن) المذيع الديني في واشنطن ـ العاصمة. لقد سبق لي أن تعرفت على كراولي وعلى زوجته ماري منذ عدة عقود، وتجمعنا علاقات روحانية منذ أيامنا الأولى في تكساس، كما تجمعنا ذكرياتنا في اليابان حيث كان يعمل مبشراً، وحيث كنت أعمل صحفية وأعيش في طوكيو. ولقد ساعدني كراولي على فهم مواد بحثي الذي صدر في كتاب لي «النبوءة والسياسة».

قال لي كراولي إنه في شبابه آمن بعقيدة سكوفيلد. . «نعم لقد ترعرت مع القدرية. إني أذكر جيداً أنني في السنة الثامنة عشرة من عمري اشتريت إنجيل سكوفيلد من مدخراتي الخاصة. فقد تعلمت القدرية في العديد من مدارس الأحد وعلى يد أساتذة وقساوسة وإنجيليين وخطباء المحفل الإنجيلي، وكذلك على يد أساتذة الكلية الذين أكن لهم عميق الاحترام».

لقد قدست وبشرت ودرست هذه العقيدة إلى أن التقيت في أحد الأيام بالدكتور جيمس ر. جراهام وهو مربٍّ ولاهوتي عمل في التبشير في الصين. كان ذلك في عام ١٩٥٢. فما أن رأى الدكتور جراهام إنجيل سكوفيلد بيدي حتى بادر إلى تسفيه النظرية القدرية نقطة نقطة وخطوة خطوة، حتى انهارت مثل بيت من ورق.

في البداية قال إنها نظام جديد لتفسير النبوءات، لا يزيد عمره على ١٥٠ عامًا. وهذا يعني أن كنيسة المسيح لم تأخذ بوجهة النظر هذه كما نقرؤها في سكوفيلد طوال ١٨٠٠ عام. وبكلام آخر فإن المسيحية استمرت وازدهرت من دون هذه العقيدة الغريبة والخطيرة.

وقال كراولي: إن الدكتور جراهام الذي كان عضواً في مجلس إدارة بيلي جراهام، فتَّح عيني على هذه الأفكار الخاطئة:

* إن نظام سكوفيلد لتفسير الكتاب المقدس يقضي على وحدة هذا الكتاب،

ويقضي بصورة خاصة على وحدة محبة الله وعطفه على الإنسانية وعلى مدى الأجيال كلها.

* إنه ينتهك معنى المسيح والمسيحية.

* إن هذا الانتهاك يتم من خلال تحول المسيحيين إلى رهائن لما يفعله يهود اليوم أو ما لا يفعلونه.

* إن القدرية عند سكوفيلد تضع، ليس المسيح فقط، بل اليهود وإسرائيل أيضًا في مركزية المسرح. ومن خلال الاعتقاد بأن للدولة اليهودية الأولوية عند الله، يجعل من أرض إسرائيل عقيدة. إنها تضع الدولة اليهودية، وأفضليتها عند الله فوق الكنيسة وفق تعاليم رئيسها السيد المسيح.

* إن القدرية عند سكوفيلد لا تجعل من المسيح ومن المسيحية وحدها رهائن، ولكنها تجعل من الله رهينة أيضًا. إنها تعلِّم أن الله لا يستطيع أن يسمح للمسيح بالعودة حتى يقوم اليهود بدورهم «الأرضي» استنادًا إلى سيناريو أعده سكوفيلد نفسه.

* يعلِّم سكوفيلد أن لله وعودًا أرضية للمختارين منه في الأرض «اليهود». ووعودًا سماوية للمختارين في السماء «المسيحيين». إنه فكر خاص بسكوفيلد. ولا يمت إلى النص المقدس بصلة.

* تقول القدرية عند سكوفيلد إن ثمة عهدًا «غير مشروط» بين الله والإنسان. غير أنه لا يوجد عهد واحد غير مشروط في النصوص المقدسة.

* ترفض القدرية عند سكوفيلد عقيدة العهد الجديد القائم بين الله وكل الإنسانية من خلال دم المسيح المصلوب، والذي دفن وقام.

* تعلم القدرية عند سكوفيلد سر «النشوة الدينية». إن الكلمة مشتقة من اليونانية ومعناها «الانسلاخ بعيدًا» (أو الابتعاد)، وهو أمر مرتبط بالفاعل وليس بحقيقة موضوعية.

إن الحدث الأساسي هو البعث. أما ما يدعى بالنشوة فإنه حدث جانبي رغم أن قدرية سكوفيلد تجعل منه حدثًا رئيسًا.

* تعلّم القدرية عند سكوفيلد أن المسيح سيعود لإقامة «مملكة يهودية»، وأنه سيجلس على العرش في المعبد الثالث في القدس مترئسًا الصلاة بأسلوب العهد القديم مثل التضحيات بالبقر الأحمر، ولقد ذكرني الدكتور جراهام أن هدف المسيح لم يكن العودة إلى القوانين القبلية.

لقد جاء برسالة جديدة. وهو يجلس الآن على عرش أبدي، إنه الملك الخالد الذي يحكم مملكة خالدة. إن مهمته قد تحققت.

سألت كراولي : لماذا استطاعت نظرية القدرية أن تكسب العديد من المؤمنين بها ؟ فردّ قائلا : « إنها تبدو جذَّابة لأولئك الذين يشعرون أنهم «في الداخل» وأنهم يحصلون على الأخبار مسبقًا، وأنهم والآخرين أمثالهم يعرفون دائمًا ماذا في فكر الله.

يخبر القساوسة المميزون أتباعهم أنهم إذا اعتنقوا عقيدة أرض إسرائيل والعصور القدرية التي يجب أن تبرز هناك سوف ينضمون إلى جماعة من الخاصة المقربين. وأنهم سوف يكافئون بالسلطة والنظام والأمن والاهتمامات الشخصية».



الأعداد المتزايدة

يوجد في الولايات المتحدة حوالي ٨٠٠ كاهن أصولي، يقدم معظمهم برامج عبر ألف محطة راديو ومائة محطة تلفزة مسيحية، والأكثرية الساحقة من هؤلاء من القدريين.

باختصار، فإن معظم المبشّرين الذين يطلون على الناس من الإذاعات يروّجون لعقيدة سكوفيلد. فالقدرية تمثل ما بين ١٥ إلى ٢٠ بالمائة من جميع المسيحيين التابعين لكنيسة العنصرة «بنتوكوستال». وبالإجمال فإني أقدر عددهم بين ٢٥ و٣٠ مليونًا، وهم في تزايد مستمر.

تقوم مؤسسات كبيرة ونافذة بتدريس العقيدة القدرية، بما فيها كلية اللاهوت في دالس – حيث درس هول ليندسي – ومؤسسة مودي الإنجيلية في شيكاغو، والكلية الإنجيلية في فيلادلفيا، والمعهد الإنجيلي في لوس أنجيلوس، وحوالي ٢٠٠ كلية ومعهد آخر.

في عام ١٩٩٨ بلغ عدد طلاب المعاهد الإنجيلية أكثر من مائة ألف طالب، تتراوح نسبة القدريين منهم ومن أساتذتهم معًا ما بين ٨٠ و٩٠ بالمائة.

وعندما يتخرج هؤلاء الطلاب يتبوّءون مراكز كهنوتية. ويبشرون في كنائسهم بعقيدة سكوفيلد، أو يدرسونها في مدارسهم الإنجيلية الخاصة.

فمن بين الأربعة آلاف إنجيلي قدري الذين يشتركون في المؤتمر السنوي الوطني للمذيعين الدينيين، يوجد ثلاثة آلاف على الأقل من القدريين الذين يتقبلون بثقة نظرية الكارثة المقبلة. ولكنهم لا يعانون ولو للحظة واحدة بسبب نشوتهم الدينية المبكرة.

ـ دايل كراولي ـ مذيع ديني ـ واشنطن، العاصمة

إنجيل سكوفيلد

إن معظم أحداث الألفية مبينة بوضوح في إنجيل سكوفيلد. ولا يمكن أبدًا التقليل من أهمية هذا الإنجيل .

ـ دوايت ويلسون، «هرمجيدون الآن»

كان لسكوفيلد تأثير عميق في ترويج القدرية من خلال زرع أفكاره في الإنجيل. هذا يعني أن الكثيرين من رواد الكنيسة يعجزون عن التمييز بين كلمات سكوفيلد وكلمات الروح القدس.

ـ جوزف م. كانفيلد ـ «سكوفيلد المدهش وكتابه»

سايروس سكوفيلد ١٨٤٣-١٩٢١

لاحقته الفضائح منذ سنواته الأولى في ولاية تنيسي، وكونت شخصيته العنيدة. كان مدمنًا على الكحول، وواجه مشاكل عائلية. قاتل سكوفيلد في الحرب الأهلية (الأمريكية)، ومارس الحقوق في (ولاية) كنساس، ثم ترك بصورة مفاجئة تلك الولاية في عام ١٨٧٧ متخليًا عن زوجته وطفليه، وسط اتهامه بأنه اختلس هبات سياسية مقدمة إلى شريكه السابق السيناتور جون أنجالز. وقد لاحظ أنجالز فيما بعد أنه لا يعقل أن يشكك أحد ممن عرف سكوفيلد في مطلع حياته في فعالية خطة الخلاص المسيحية.

سجن (سكوفيلد) في (مدينة) سانت لويس في عام ١٨٧٩ بتهمة التزوير، وفي السجن جرى تحوله الديني متأثرًا بجيمس بروكس أحد تلامذة داربي القدريين، وفي عام ١٨٨٢ أصبح أسقف أبرشية دالس الأولى.

وتكمن شهرة سكوفيلد المتواصلة في إنجيله المرجعي الذي صدر في عام ١٩٠٩، والذي وصفه أحد العلماء بأنه ربما يكون الوثيقة الأكثر أهمية في كل الأدبيات الأصولية.

ـ بول بوير، «عندما يتلاشى الوقت»

القدس: المسرح المركزي

الفصل الثامن

القدس في التاريخ

باستثناء القصص التي استمعت إليها في أثناء طفولتي في مدارس الأحد لم أكن أعرف شيئًا عن طبيعة الحياة اليومية للناس في القدس، عن ولادتهم ودراستهم، عن زواجهم وأطفالهم، عن أيام السعادة وأيام الشقاء. وعندما زرت المدينة وجدت نفسي وجهًا لوجه أمام حقائق الناس الذين عاشوا هناك باستمرار.

سرتُ في الشوارع الحجرية للمدينة مع عربي مسلم يدعى محمود علي حسن وهو من مواليد القدس، فمن أسواقها اشترى أول بذلة وأول حذاء له. وعلى يد أحد حلاقيها حلق ذقنه للمرة الأولى، وفي القدس تزوج وأنجب أطفاله الذين رعاهم وقرّت عينه بهم وهم يكبرون داخل أسوار المدينة القديمة.

كنت أمشي مع محمود في الممرات الضيقة داخل واحدة من النماذج القليلة الباقية للمدن المسوّرة. يقوم جزء من الجدران فوق أسس ساحة هادريان التي بنيت في عام ١٣٥ ميلادية. وتشمل هذه الجدران أجزاء من جدران أقدم، أقام بعضها في عام ٣٧ قبل الميلاد الملك حيرام، وأقام بعضها الآخر أغريبا في عام ٤١ ميلادية، كما أقام صلاح الدين (الأيوبي) بعضها الثالث في عام ١١٨٧. وأخيرًا هناك الجدران التي بناها الأتراك المسلمون بقيادة سليمان العظيم في القرن السادس عشر.

قال لي محمود: كان سكان هذه المدينة القديمة المسوّرة على مدى التاريخ عربًا في أكثريتهم الساحقة. ومن الأسواق العربية والبيوت العربية والصروح الدينية العربية يتشكل حوالي تسعين بالمائة من المدينة القديمة.

«إننا كعرب ننحدر من شعب أصيل هنا، من شعب لم يغادر فلسطين أبدًا، عاش فيها باستمرار ومع هذه الأسوار. إنني أستطيع أن أعود بأسلافي إلى عشرة أجيال خلت، وبالنسبة لوالدي ولوالده ولوالد والده فإنهم جميعًا عاشوا في البيت العائلي نفسه طوال الثلاثمائة سنة المنصرمة».

وصلت مع محمود إلى الصرح الإسلامي المقدس، الحرم الشريف. كان ذلك يوم جمعة، يوم العطلة الدينية الإسلامية، وفي أثناء سيرنا باتجاه المسجد الأقصى كان علينا أن نشق طريقنا وسط آلالاف من العرب الذين كانوا يتوجهون عبر الممرات الحجرية الضيقة إلى المسجد لأداء الصلاة.

ذكرني محمود بأن القدس «هي واحدة من أقدم مدن العالم». فقد جاء العرب الأموريون إلى هنا قبل أربعة أو خمسة آلاف سنة، وأقاموا هذا الموقع أساسًا دينيًّا لتكريم آلهتهم. كان أولئك العرب الأولون يعبدون إلهًا يدعونه شالم، ومنه أخذت المدينة اسمها القدس (أورشاليم) ثم جاءت أفواج غيرهم. جاء الكنعانيون من كنعان وهم الذين جعلوا من القدس مركزًا مبكرًا لعبادة الله الواحد. وكان للكنعانيين ملك يدعى مالشيزداك؛ وتشير الآثار المكتوبة إلى أنه كان أيضًا كاهنًا لله المتعالي.

وأضاف محمود: «إن هذا التاريخ المبكر يسبق وصول العبرانيين بعدة قرون. فعندما وصلت قبيلة من العبرانيين، وهي واحدة من عدة قبائل كانت موجودة في المنطقة، أقاموا لفترة لا تزيد على ٤٠٠ سنة وقد هُزموا، شأنهم في ذلك شأن غيرهم ممن سبقوهم، ولحقوا بهم. ومنذ حوالى ٢٠٠٠ عام جرى إبعادهم».

سرنا من الأقصى مسافة قصيرة باتجاه قبّة الصخرة الرائعة. إنها واحدة من أجمل الصروح الدينية في العالم. وكثيراً ما كانت تقارن بجمالها بتاج محل (في الهند قرب دلهي). لقد بنيت هذه القبة كما قال لي محمود في عام ٦٨٥هـ بأمر من عبدالملك بن مروان.

قلت لمحمود: لقد قيل لي إن هذا هو مسجد عمر.

فأجاب: «إن كل الناس، وفيهم المسلمون، يشيرون إلى هذا المسجد على أنه مسجد عمر. غير أن عمر لم يبنه، إنما بناه الخليفة الأموي الذي كانت دمشق عاصمة له».

زرنا هذه التحفة المعمارية ذات الأضلاع الثمانية والمزينة بالقرميد الأزرق والأخضر المتوهج تحت ضوء المتوسط. ولزيارتها كان علينا أن نجتاز ممراً مرتفعًا تحيط به الأعمدة مع درج من كل جانب. نظرنا فوقنا فشاهدنا قبة ذات حجم لا يصدق وجمال رائع.

لقد خلعنا أحذيتنا أمام المدخل مع العشرات من الزائرين القادمين من مختلف أنحاء العالم. لقد أدهشني اتساع القبة الذي يكاد لا يصدق. أما الصخرة التي ترتفع عن الأرض إلى ما فوق كتفي والتي تغطي مساحة نصف ملعب للتنس فإنها تهيمن على الموقع داخل الصرح.

قال لي محمود: لقد بنيت درة القدس الهندسية لسبب واحد. وهو حماية وتزيين الصخرة الضخمة. لقد كان نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) يعتقد أن هذه الصخرة الضخمة مصدرها الجنة، وأن الله (سبحانه) أسرى بمحمد (صلى الله عليه وسلم) من هذه الصخرة المقدسة إلى السماء.

كان علينا أن نجتاز مسافة قصيرة مشيًا على الأقدام للانتقال إلى الدير الذي كنت أقيم فيه داخل المدينة القديمة، وقد حدثني محمود في أثناء الطريق فقال: لم يكن خلافنا كمسلمين وكعرب مع اليهود كيهود، ولم يكن مع الديانة اليهودية العظيمة. فالمواقع التي يعتبرها اليهود والمسيحيون مقدسة نعتبرها نحن أيضًا مقدسة، والأنبياء الذين يقدسهم اليهود والمسيحيون نقدسهم نحن أيضًا، وقال محمود بعد ذلك: أود القول إن كل فئة أخذت عمن قبلها. فلا توجد حقوق مطلقة لأي شخص أو لأي جماعة هنا. لقد نشب ما لا يحصى من المعارك من أجل القدس. ولم تكن السلطة للعبرانيين هنا إلا لستين سنة فقط.

اعترفت لمحمود أنني أمريكية نموذجية من حيث إنني لم أدرس أبدًا تاريخ القدس وفلسطين. إنني مثل معظم البروتستانت الغربيين، مرجعي الأساسي هو القصص الإنجيلية التي سُجلت وكتبت منذ ألف سنة، ليس عندي سوى القصص الإنجيلية وأخبار اليوم حيث يدعي اليهود الإسرائيليون أن لهم حقًا مطلقًا وأبديًا في القدس.

لم يهضم محمود هذه الأساطير عن أرض لشعب واحد فقط. كان ذلك أمرًا مقلقًا.

❑ ❑ ❑

الفصل التاسع

المسيحيون غير المرئيّين

في أول رحلة نظمها فولويل في عام ١٩٨٣ (إلى الأراضي المسيحية المقدسة في فلسطين) كنت واحدة من بين أكثر من ٦٠٠ مسيحي مشترك. وفي الرحلة الثانية في عام ١٩٨٥ كنت واحدة من بين أكثر من ٨٠٠ مسيحي مشترك. وفي المنشورات الملونة حول تفاصيل الرحلة، لم يشر فولويل إلى أننا سنكون في أرض المسيح، حيث ولد عيسى وحيث أقام أبرشيته ومات. وبدلا من ذلك ركز في هذه المنشورات على إسرائيل. لقد رافقنا أدلاء سياحيون إسرائيليون فقط، وأقمنا في فنادق إسرائيلية، وأكلنا في مطاعم إسرائيلية.

كان يحيط بنا عشرات الآلاف من المسيحيين، غير أن فولويل لم ينظم لنا أي لقاء معهم. وفي أحد الأيام تهربت من زيارة إلى موقع عسكري إسرائيلي لزيارة مسيحيي فلسطين برفقة جوناثان كتّاب. كان مكتبه للمحاماة يقع قريبًا من فندق «كولوني أمريكان» داخل القدس الشرقية. وفي خلال وقت قصير كنت أجلس في مكتبه أحتسي معه القهوة العربية.

ولد كتّاب في القدس ودرس القانون في الولايات المتحدة. اهتم كتّاب كثيراً بتاريخ المسيحية، وشارك في المؤتمرات المتعددة الأديان في واشنطن - العاصمة وكذلك في القدس.

سألته : كيف يفسر مبادرة فولويل بتشجيع المئات من المسيحيين الأمريكيين بالسياحة إلى أرض المسيح ثم يحول دون لقائهم بأي مسيحي ؟ فأجاب : « إنه يريد أن يطلعهم على المعالم الحجرية ويتجاهل «الحجارة الحية»، أي المسيحيين الذين حافظوا على المسيحية حية حيث ولدت. إننا هنا منذ أيام المسيح. مع ذلك، فإنه يجعل منا نحن ـ المسيحيين الأصليين ـ غير موجودين وغير مرئّيين».

سألته : استناداً إلى دراساته، متى بدأ المسيحيون الغربيون يفعلون ذلك ؟ فأجاب : «بدأ ذلك بعد حركة الإصلاح (الديني في أوروبة) . قبل ذلك كان الفكر الكاثوليكي التقليدي يعتبر هذه الأرض أرضًا مقدسة لعيسى المسيح . لم تكن التعاليم حتى ذلك الوقت تتضمن إمكانية عودة اليهود إلى فلسطين أو أي شكل من أشكال منطق الشعب المختار أو منطق وجود أمة يهودية» .

« في الأساس كان هناك إجماع لدى القادة المسيحيين بأن النبوءات التي تتعلق بالإحياء اليهودي تتعلق بعودة الإسرائيليين من المنفى في بابل، ونذكر أنه في القرن السادس قبل الميلاد سمح الحاكم سايروس (الفارسي) لليهود الذين أبعدوا عن فلسطين بالعودة إليها، وقد وجد القادة المسيحيون في ذلك تحقيقًا لنبوءة عودة اليهود إلى فلسطين» .

وأضاف كتّاب : « ولذلك كانت التعاليم المسيحية تقول منذ عام ١٦٠٠ إن الكنيسة هي الوارث المباشر للديانة العبرية . وهكذا لم يكن ينظر أحد إلى اليهود على أنهم «شعب مختار» مقدر له أن يعود إلى فلسطين . ولم يكن لأي مسيحي أية عواطف رومانسية تجاه الانتصارات القديمة للمقاتلين العبرانيين .

أعربت بعد ذلك عن اعتقادي بأن المسيحيين أجمعوا على الاتفاق في ديانتهم المسيحية على أن المسيح حلّ محل التقاليد العبرانية القديمة، فقال كتّاب : « لقد أوضح ذلك القديس أغسطين في كتابه «مدينة الله» وفي أعمال أخرى له، وهو أن الكنيسة المسيحية تشمل «مملكة الرب الألفية» . لقد كتب ذلك في القرن الخامس، ولا تزال كتاباته تلك حتى اليوم مقروءة وموضع تقدير .

وسألت : إذا كان المسيح يشمل المملكة الألفية فلماذا إذن يتخذ عدد كبير من المسيحيين منحى مختلفًا منذ بداية حركة الإصلاح؟ فأجاب : « حتى ذلك الوقت لم يكن العهد القديم قد ترجم إلى اللغة العامية الحيّة . بعد ١٦٠٠ سنة أصبح متداولا على نطاق واسع كما كان موضع اهتمام بين القراء . ومع هذا التغيير أصبح عندنا نهضة عبرية أو نهضة تهويدية . فبدلا من تعاليم المسيح البسيطة تحول الكهنة المسيحيون إلى قصص الحرب في العهد القديم، وإلى إبراهيم وإسحق ويعقوب» .

«وفوق ذلك كله، بدأ المسيحيون يتعاملون مع الإنجيل العبري (التوراة) على أنه المرجع الوحيد للتاريخ، أصبحوا مهووسين بالعالم الذي سيأتي، بدءوا ينظرون إلى الحياة على أن لها نهاية حتمية. وتوجهوا إلى المسيحانية وإلى الألفية، وهما مظهران من مظاهر التقاليد اليهودية».

ردد كتّاب أمامي ما سبق للمسلم محمود أن أخبرني به من أنه كفلسطيني فإنه ينتمي إلى شعب قديم أقام وعاش في فلسطين لفترات أطول مما أقام وعاش فيها العبرانيون، ومع ذلك فإن المسيحيين الأصوليين يحذفون ٢٠٠٠ سنة ويختصرون تاريخ فلسطين بالوجود اليهودي هنا.

«إن ذلك يعني أن فولويل وأتباعه الذين يقيمون صرح المسيحية على قصص الأرض المختارة للشعب المختار، كما وردت في العهد القديم، يتظاهرون وكأننا لسنا هنا».

إنهم يتبنون مبدأ عنصريّا يجعلنا غير مرئيين، فلا مكان لنا في السيناريو العبري الذي وضعوه.

❑ ❑ ❑

إسرائيل والنبوءة

يعني خلق إسرائيل في عام ١٩٤٨ «العودة أخيرًا إلى أرض الميعاد التي أُخرج منها اليهود منذ مئات السنين .. إن إقامة الأمة الإسرائيلية هو تحقيق للنبوءة التوراتية والتنفيذ الجوهري لها .

- الرئيس الأسبق جيمي كارتر

لأنني مسيحي فإنني أنظر إلى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة باعتباره إشارة إلى مجيء العصر المسيحاني، حيث يتمتع كل الناس بمحاسن المجتمع المثالي .

- السيناتور السابق مارك هاتفيلد

إن وجود القدس بيد اليهود للمرة الأولى منذ ٢٠٠٠ سنة يصيب الإنجيلي بالقشعريرة ، ويجدد إيمانه بدقة في صدقية الكتاب المقدس .

- ل. نيلسون بيل - ١٩٦٧، رئيس تحرير «المسيحية اليوم» بمناسبة سيطرة القوات الإسرائيلية على مدينة القدس

في خلال العهد الإصلاحي تلاقى العبرانيون التوراتيون مع معاصريهم المتدينين. وفي الوقت نفسه شاع الاعتقاد بين معتنقي البروتستانتية بأن اليهود المبعثرين سوف يتجمعون في فلسطين تحضيرًا لعودة المسيح الثانية .. لم يعد العهد القديم الأكثر تداولا بين العامة من البروتستانت فحسب ، إنما أصبح هذا الكتاب مصدر معرفة التاريخ العام . كانت تلك لحظة بداية عملية التغيير التاريخية .

- رجينا شريف - «الصهيونية غير اليهودية»

الفصل العاشر

حصار مسجد

في مطلع عام ١٩٩٩ اعتقلت الشرطة الإسرائيلية مجموعة من القدريين الأمريكيين الذين قدموا من دنفر بكولورادو، والذين يطلقون على أنفسهم اسم المسيحيين المهتمين. وبعد أن وضعت الأغلال في أيديهم، وسجنتهم كمجرمين عاديين أبعدتهم إلى الولايات المتحدة. لقد اتهمتهم الشرطة الإسرائيلية بالتخطيط للقيام «بنهاية دموية» بهدف تسريع العودة الثانية للمسيح. وقيل إنهم خططوا لتدمير الصرح الإسلامي الأكثر قداسة في القدس.

إن جماعة دنفر في اندفاعهم لاستبدال المسجد بمعبد يهودي لا يختلفون عن غيرهم من القدريين الذين يؤمنون بأن الله يريد ذلك. وكما فهمتُ من المسيحيين في أثناء الجولة التي ينظمها فولويل فإنهم يحيطون هذه الفكرة بالسرية. ولعل أحد الشخصيات المعبرة عنهم هو ضابط في الجيش يدعى أوين ويعيش في شمال (ولاية) نبراسكا.

قضيت وقتًا طويلا مع أوين الذي أدى خدمته العسكرية في أوروبة خلال الحرب العالمية الثانية ثم في اليابان. وفي أحد الأيام كنت أسير مع أوين عندما تحركت مجموعتنا باتجاه المدينة القديمة المسوّرة. وما أن اجتزنا بوابة دمشق (إحدى بوابات مدينة القدس) وبدأنا السير في الممرات الحجرية الضيقة حتى تصورّت المسيح يمشي في ممرات مماثلة. فوسط بيئة تتغير بسرعة، فإن المدينة القديمة التي تحتفظ بطبقة فوق أخرى من التاريخ ومن الصراع، توفر للسياح عرضًا نجوميًا بأهلها البالغ عددهم ٢٥ ألف نسمة. وكما أخبرني الفلسطيني المسلم محمود من قبل، فالقدس كانت على مدى تاريخها الطويل عربية بصورة أساسية وراجحة.

اقتربنا من الحرم الشريف، المكان المقدس الذي يضم القبة والصخرة والمسجد الأقصى، وهي المواقع التي سبق لي أن زرتها مع محمود، وهي الصروح القائمة فوق مرتفع من الأرض والتي يشار إليها عادة باسم «المسجد»، تمثل الصرح الإسلامي الأكثر قداسة.

وقفنا في منخفض تحت المسجد مقابل الجدار الغربي الذي يبلغ ٢٠٠٠ قدم ارتفاعًا و١٦٠٠ قدم طولا، والذي يعتقد أنه الأثر الوحيد الباقي من الهيكل اليهودي الثاني.

قال لنا مرشدنا السياحي، وهو يشير إلى القبة والصخرة والمسجد الأقصى «هناك سنبني الهيكل الثالث. لقد أعددنا كل الخطط اللازمة للهيكل حتى أن مواد البناء أصبحت جاهزة أيضًا. إنها محفوظة في مكان سري. هناك عدد من المحلات التي يعمل فيها الإسرائيليون لإعداد اللوازم التي سنستخدمها في الهيكل الجديد. ويقوم أحد الإسرائيليين بنسج قطعة من الكتان الصافي لاستخدامها في ملابس كهنة الهيكل».

وبعد صمت قليل أضاف يقول: «في مدرسة دينية تدعى ياشيفا اتيريت كوهانيم - تاج الكهنة - وتقع بالقرب من مكان وقوفنا يقوم الحاخامات بتعليم الشبان كيف يؤدون مناسك التضحية بالحيوان».

يبدو أن سيدة من مجموعتنا، ماري لو وهي اختصاصية في الحاسوب (الكمبيوتر) أخذتها الدهشة وهي تسمع أن الإسرائيليين يريدون العودة إلى مراسم سليمان القديمة بإقامة مذبح للتضحية في الهيكل، فسألت: «لماذا تريدون العودة إلى التضحية بالحيوان؟».

فأجاب مرشدنا السياحي الإسرائيلي: «لقد فعلنا ذلك في الهيكل الأول والثاني، ولا نريد أن نغير ممارساتنا. إن معلمينا يعلموننا أن إهمال دراسة تفاصيل الخدمة في الهيكل هو إثم».

ما إن غادرنا المكان حتى لفت انتباه أوين إلى أن مرشدنا يقول إن الهيكل يجب أن يعاد بناؤه في موقع قبة الصخرة، من دون أن يقول شيئًا عن الصروح الإسلامية.

فقال أوين : « سوف يتم تدميرها . تعرفين أن الكتاب المقدس يقول بوجوب بناء الهيكل . ولا يوجد مكان آخر لبنائه سوى هذه المنطقة . إننا نجد ذلك في قانون موسى» .

سألت أوين : ألا يعقل أن يكون النص الديني حول بناء الهيكل يتعلق بالوقت الذي كتب فيه ، وليس بالأحداث المعاصرة لنا ؟

رد أوين : « لا ، إنها تتعلق بزماننا . إن الكتاب المقدس ينبئنا أنه في نهاية الزمن سيجدد اليهود التضحية بالحيوان » .

وقلت لأوين : بكلام آخر إن الهيكل يجب أن يبنى حتى يتمكن اليهود من استئناف التضحية بالحيوان .

أجاب أوين : « نعم » . واستشهد بنص من سفر حزقيال ٢٩/ ٤٤ ليثبت صحة وجهة نظره .

وعدت إلى سؤاله : هل إنك (أوين) مقتنع بأن على اليهود ، وبمساعدة المسيحيين ، تدمير المسجد وبناء الهيكل واستئناف قتل الحيوانات في الهيكل ، وإن ذلك كله هو من أجل إسعاد الله ؟ . .

رد : «نعم . هكذا يجب أن تسير الأمور . إن ذلك في الكتاب المقدس» .

وسألت : وهل بناء الهيكل يقع ضمن فترة زمنية ؟ .

أجاب : «نعم . نعتقد أنه يجب أن تكون الخطوة التالية في الأحداث التي تقود إلى عودة «سيدنا» . إن الكتاب المقدس لا يخبرنا شيئًا عن حجم الهيكل . إن كل ما يخبرنا به هو أنه يجب استئناف التضحيات . ويمكن لليهود أن يقوموا بذلك في بناء صغير نسبيّا » .

وسألت : أليس من الرجعية أن نعود إلى التضحية بالحيوان ؟ وماذا عن حقوق الحيوان في عصرنا الحديث ؟ فأكد أوين ردّا على ذلك : « لا يهمنا ما يقولون ، يهمنا ما يقول الكتاب المقدس ، أن الكتاب المقدس ينبئنا بإعادة بناء الهيكل ، وعلى كل حال فإن الذين سيبنون الهيكل ليسوا مسيحيين بل هم يهود أرثوذكس . لقد بيّن العهد القديم الأصول المحددة التي يجب أن يلتزم بها اليهود في عملية

التضحية بالحيوان. إنهم لا يستطيعون فعل ذلك من دون الهيكل. كانوا يحترمون مناسك التضحية بالحيوان حتى عام ٧٠ ميلادية. وعندما يكون لديهم هيكل سيتولى يهود أرثوذكس قتل الغنم أو الثيران في الهيكل كتضحية لله».

وفيما كان أوين يتحدث مشدداً على موضوع التضحية بالحيوان - وهي خطوة يشعر بأنها ضرورية لنضجه الروحي - يبدو أنه لم يول أي اهتمام لحقيقة الصروح الإسلامية التي ستقوم في المكان الذي يقول «إن الله يطَلب» بناء الهيكل مكانه.

مساء ذلك اليوم، رافقت أوين بعد العشاء في مسيرة طويلة فأثرت معه اهتمامي بالمخاطر المترتّبة على مخطط تدمير الصروح الإسلامية المقدسة. فعاد أوين للقول: «إن المسيحيين لن يقوموا بذلك. غير أني متأكد من أن هذه الصروح سوف تدمر».

فأكدت أن ذلك يمكن أن يطلق حرباً عالمية ثالثة. فقال: «نعم، هذا صحيح. إننا نقترب من نهاية الزمن كما قلت. سيفجّر اليهود الأرثوذكس المسجد، وسيثير هذا الأمرُ العالمَ الإسلامي. وستنشب حرب دينية مع إسرائيل، ما سيحمل قوات المسيح على التدخل». كان أوين يتحدث بهدوء وتؤدة وكأنه يخبرني أن الطقس سيكون ممطراً غداً.

ولدى عودتنا إلى الفندق قال لي: «نعم، سيكون هناك بالتأكيد هيكل ثالث».

ولما عدت إلى واشنطن، العاصمة، تحدثت إلى تيري ريزنهوفر من أوكلاهوما الذي أخبرني أنه جمع أموالا لمساعدة إرهابيين يهود يخططون لتدمير الصروح الإسلامية.

أخبرني ريزنهوفر - المولود ثانية - أنه كان يدعى باستمرار إلى البيت الأبيض خلال إدارة الرئيس ريجان، للاشتراك في لقاءات القدريين حيث كان يعتبر صاحب مبادرات منفردة. لقد تحدث ريزنهوفر إليّ بحرّية عن خططه لنقل تبرعات من الأمريكيين معفاة من الضرائب إلى إسرائيل. وقد عمل في عام ١٩٨٥ كرئيس للمنتدى الأمريكي للتعاون اليهودي - المسيحي. وكان يعاونه في ذلك دوجلاس كريجر كمدير تنفيذي والحاخام الأمريكي دافيد بن آمي المقرب من إيريل شارون.

إضافة إلى ذلك، خدم ريزنهوفر كرئيس مجلس «مؤسسة هيكل القدس» وهدفها الوحيد إعادة بناء الهيكل في الموقع الحالي حيث تقوم الصروح الإسلامية. واختار ريزنهوفر شخصًا يدعى ستانلي جولدفوت أمينًا عامًا للعلاقات الخارجية في المؤسسة. وكان جولدفوت قد هاجر في عام ١٩٣٠ من جنوب إفريقيا إلى فلسطين وأصبح عضواً فاعلا في عصابة شترن التي هزت العالم بالجرائم التي ارتكبتها ضد العرب، رجالا ونساءً وأطفالاً. حتى إن دافيد بن جوريون نفسه أدان العصابة ووصفها بالنازية والخروج على القانون.

واستناداً إلى ما ذكرته الصحيفة الإسرائيلية دافار، وضع جولدفوت قنبلة في ٢٢ يوليو ١٩٤٦ في فندق الملك داود بالقدس فدمرت أحد أجنحته التي كانت تشتمل على سكرتارية الانتداب البريطاني وجزء من الإدارة العامة العسكرية.

أدت تلك العملية إلى مقتل ١٠٠ بريطاني وغيرهم من الرسميين. مما أدى إلى تسريع مغادرة البريطانيين لفلسطين وهو ما خطط له العسكريون اليهود.

ويصف ريزنهوفر جولدفوت بأنه «صلب جدا وإرهابي شرعي، إنه مؤهل لتنظيف الموقع اللازم لبناء الهيكل».

ويقول ريزنهوفر أيضًا إنه في الوقت الذي يعمل العسكريون المسيحيون بحماسة دينية فإن المتعصب لهم جولدفوت لا يؤمن بالله ولا بالمقدسات الواردة في العهد القديم. ذلك أن المهم بالنسبة له هو سيطرة إسرائيل على فلسطين كلها. ويشرح ذلك إسرائيل ميدبا نائب جولدفوت، وهو عضو في الحزب اليميني المتطرف تحيا. فيقول: «إن القضية كلها هي قضية سيادة، إن من يسيطر على جبل الهيكل، يسيطر على القدس. ومن يسيطر على القدس يسيطر على كل أرض إسرائيل».

أخبرني ريزنهوفر أنه كلف جولدفوت القيام بعدة زيارات إلى الولايات المتحدة حيث تحدث -جولدفوت- عبر أجهزة الراديو والتلفزة الدينية كما تحدث إلى المحافل الكنسية. ولقد مكنني ريزنهوفر من الحصول على شريط تسجيل لحديث أجراه جولدفوت في كنيسة تشاك سميث - كنيسة الفرسان - في كوستاميسا بكاليفورنيا. ففي أثناء جمع التبرعات لبناء الهيكل لم يخبر المسيحيين عن خططه

لتدمير المسجد. كذلك زودني ريزنهوفر بأسماء عدد من الأشخاص الذين يعرفون ستانلي جولدفوت ومن بينهم جورج جياكوماكيس الذي ترأس لسنوات عديدة معهد دراسات الأرض المقدسة، وهو معهد إنجيلي أمريكي قديم متخصص في دراسات علم الآثار واللاهوت. وفي أثناء إحدى رحلاتي إلى القدس قابلت جياكوماكيس وهو أمريكي من أصل يوناني. فسألته عمّا إذا كان بإمكانه مساعدتي لإجراء مقابلة مع جولدفوت؟ فأجاب: «آه، لا ـ ملقيًا برأسه بين يديه كمن تلقى نبأ بوقوع كارثة ـ لا يمكن مقابلته. إنه يعود إلى جماعة أرجون الإرهابية!». ثم رفع رأسه وأشار بيده إلى فندق الملك داود وأضاف: «كان ستانلي جولدفوت مسئولا عن تلك العملية. إنه لا يتوقف أمام أي شيء. همّه إعادة بناء الهيكل، وإذا كان ذلك يتطلب عنفًا فإنه لن يتردد باستعمال العنف».

توقف جياكوماكيس لحظة ثم أكد لي أنه رغم عدم إيمانه هو نفسه بالعنف، «فإن ذلك لا يعني أنه إذا هدم المسجد وقام الهيكل فإنني لن أؤيد العمل».

كذلك ساعدني تيري ريزنهوفر على التعرف على القس جيمس دي لوش وهو شخصية قيادية في الكنيسة المعمدانية الثانية في هيوستن. بعد تبادل الحديث عدة مرات عبر الهاتف، جاء دي لوش إلى واشنطن العاصمة، وزارني في شقتي وبموافقة منه سجلت الحديث الذي جرى بيننا.

قال لي: «أنا أعرف ستانلي جيدًا. نحن أصدقاء حميمون، إنه رجل قوي جدًّا». وعن ريزنهوفر قال دي لوش: «إنه موهوب جدًّا في جمع المال. لقد قام بجمع مائة مليون دولار، بعض هذا المال أنفق بدل أتعاب المحامين الذين تمكنوا من إطلاق سراح ٢٩ إسرائيليًّا حاولوا تدمير المسجد. لقد كلفنا تحريرهم مالا كثيرًا».

وسألته: وكيف أرسل المال من المتبرعين الأمريكيين إلى الإرهابيين اليهود؟

قال: «لقد أرسلت الأموال كمساعدة إلى أتيريت جوهانيم ياشيفا».

وسألت: هل هي المدرسة التي تعد الطلاب لتقديم التضحيات بالحيوان؟

فردّ موافقًا: نعم.

وسألت : هل المسيحيون يتبرعون من أجل ذلك ؟

فقال : « إن الأمر يحتاج إلى كثير من التدريب» . وأضاف باعتزاز : «لقد استضفت مؤخراً في بيتي في هيوستن اثنين من الإسرائيليين الذين يدرسون كيف يقومون بعملية التضحية في الهيكل الذي سيجري بناؤه» .

لقد تحدث القس دي لوش أكثر من ساعة وسمح لي بتسجيل الحديث كاملاً . قبل أن يغادر شقتي وجهت إليه سؤالا أخيراً : ماذا لو أن الإرهابيين اليهود الذين يدعمهم نجحوا ودمّروا القبة والصخرة والأقصى - الصروح المقدسة لدى خمس سكان العالم اليوم - وماذا لو أدّى ذلك إلى إشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة وإلى محرقة -هولوكوست- نووية ؟ ألا يكون هو وريزنهوفر مسئولين؟

أجاب : «لا ؛ لأن ما يقومون به هو إرادة الله » .

بناء لاقتراح دي لوش ، اتصلت بالدكتور لامبرت دولفين ، وهو عالم بارز في معهد الأبحاث (بجامعة) ستانفورد بكاليفورنيا . قال لي قسيس هيوستن إن دوفين كان يلتقط صوراً بأشعة إكس لأرض المسجد تمهيداً لبناء الهيكل . إنه مبتدع خطة تقضي باستخدام رادار أرضي يعمل على طريقة أشعة إكس لأهداف تنقيبية ، وقد أثبت استخدام الرادار أنه مفيد جدّا .

بدأت الاتصال بالدكتور دولفين . فأرسل إليّ رزمات كبيرة مع توضيحات حول « الرادار الأرضي للتنقيب» . كما أرسل إلى كتيّبا يشرح فيه حياته مع الإشارة إلى أنه خضع لتجربة «الولادة الثانية» . فالبحث عن المسيح في هذه الحالة يعني التصديق بعقيدة القَدَرية ، التي تقول إن الله يريد أن يرى الهيكل اليهودي قد بني من جديد قبل أن يعيد المسيح إلى الأرض .

يشرح برنامج «التنقيب عن الآثار بوسائل جغرافية - علمية» في إسرائيل كيف يمكن التنقيب عن الآثار في منطقة ما من خلال التصوير الجوي ، والانعكاس الحراري ، والاختراق الأرضي بواسطة الرادار أو الموجات الصوتية ، كل ذلك من دون القيام بأي حفريات .

وفي كتيّب آخر يلاحظ دولفين أن الحفر في الأراضي الإسلامية المقدسة أمر صعب وأن الأفضل هو الاستشعار عن بعد . ولما سألت عن مصادر التمويل التي

ترسل إلى ستانلي جولدفوت، قال دولفين إنه يقدر حجم النفقات اللازمة في كل فصل بمبلغ من ستة إلى سبعة أرقام.

وكان الدكتور دولفين قد أمضى عدة أسابيع في الموقع الإسلامي مع فريق عمل مزود بأجهزة إلكترونية بدعوة من «مؤسسة هيكل القدس» وبتمويل من كنيسة الفرسان لتشاك سميث. أدى إخضاع منطقة قبة الصخرة والمسجد الأقصى إلى أشعة إكس إلى إثارة غضب المسلمين الذين احتجوا بشدّة على وجود دولفين هناك. فجمع دولفين معداته وعاد إلى كاليفورنيا. وبقي حتى عام ١٩٩٩ قدريّاً متحمساً مصرّاً على مواصلة العمل لإزالة المسجد وبناء الهيكل اليهودي. وقد فتح صفحة «ويب سايت» لإطلاع قرائه على مراحل التقدم في المشروع.

منذ عام ١٩٦٧ ـ وهو العام الذي سيطر فيه الإسرائيليون عسكريّاً على القدس- قام المسلحون اليهود وكان معظمهم من الحاخاميين المسلحين والجنود وطلاب المدارس الدينية بأكثر من مائة اعتداء على الأراضي الإسلامية الأكثر قداسة. وكان في مقدمة هؤلاء شلوموجورين الذي أصبح فيما بعد رئيس حاخامات إسرائيل. ففي أغسطس من عام ١٩٦٧ قاد ٥٠ مسلحًا إلى هذا الموقع. وحتى عام ١٩٩٩ وبعد ثلاثة عقود من الهجمات الإرهابية على المسجد التي شنها مسلحون يهود لم يصدر عن أي من حاخامات إسرائيل الرئيسيين أي شجب أو استنكار. ويقول أحد الصحفيين الإسرائيليين «إن غياب الشجب يشير إلى أن المسئولين الإسرائيليين على أعلى مستوى يغطون أعمال الإرهابيين». ولاحظ الصحفي أيضًا أن «الحاخاميين الرئيسيين الذين يتقاضون رواتبهم من الدولة لم يدينوا على الإطلاق العنف المرتكب»، مشيراً إلى أن «عدم استنكار هذه الأعمال يدل على تواطؤ الحكومة».

لقد كان الحاخاميون المسلحون هم المحرضون على الهجوم وعلى الحرم الشريف، بل كانوا قادة معظم الهجمات المسلحة على ذلك الحرم الشريف. ويقول الحاخام شلومو شايم هاكوهين رفنير: «علينا ألا ننسى أن الهدف الأسمى من وراء تجميع المشتتين وإقامة دولتنا هو بناء الهيكل. إن الهيكل هو رأس الهرم».

في عام ١٩٧٩ عرفت لأول مرة بوجود خطة يهودية مسلحة لتدمير المسجد. في ذلك العام توجهت إلى فلسطين المحتلة - الضفة الغربية - وأقمت في منازل المستوطنين اليهود الذين يطلقون على أنفسهم «الجماعة المؤمنة» أو «جوش إيمونيم». إن وجودهم هناك يشكل انتهاكًا لجميع القوانين الدولية التي تمنع إشغال أرض انتزعت بقوة السلاح. وجدت نفسي أعيش في «جيتو» غريب تحميه أسلاك شائكة مرتفعة وأضواء كاشفة ودوريات مسلحة.

إن ثلث المستوطنين الذين التقيت بهم جاءوا من الولايات المتحدة ومعظمهم جاء من نيويورك. ويعتبر بوبي براون من بروكلين نموذجًا لهم. فقد قال لي: «إذا كان تدمير المسجد من أجل بناء الهيكل سوف يتسبب في نشوب حرب كبرى، فلتكن». إنه كالآخرين من حوله يمتشق رشاشات الجيش الإسرائيلي.

وقال لي براون أيضًا: «إن وجود مسجد قابع في وسطنا يشعرنا بوجود وصمة عار في جبيننا».

وتابع براون وهو من الجيل الأمريكي الثالث حديثه في مستعمرة تدعى تيكوا في ضاحية بيت لحم فقال: «انظر إلى أي صورة للقدس فترى ذلك المسجد! يجب إزالته. سنبني يومًا ما الهيكل الثالث هناك. يجب أن نفعل ذلك لنبيّن للعرب وللعالم كله أن السيادة على كل القدس، وعلى كل أرض إسرائيل، لنا نحن اليهود».

أقمت في منزل ليندا وبوبي براون. ومساء أحد الأيام قلت لهما: إن بناء الهيكل من طريق تدمير المسجد يمكن أن يشعل حربًا كارثية. فقال براون: «تمامًا. إننا نريد هذا النوع من الحرب، لأننا سنربحها. عندئذ سوف نطرد كل العرب من أرض إسرائيل». ثم أكّد: «سوف نعيد بناء هيكلنا».

وفيما كان يتحدث إليّ كان مسلحو جوش إيمونيم يعقدون اجتماعًا سريا لإعداد خطة لتدمير المسجد. وكما ثبت فيما بعد فقد حصلوا على صورة جوية للمسجد واستأجروا طيارًا عسكريًا كلّفوه بسرقة طائرة عسكرية لاستخدامها في قصف المسجد على أن يقوموا بعد ذلك بهجوم أرضي.

وذكرت صحيفة «صوت القرية» في عددها الصادر عام ١٩٨٥ نقلا عن مراسلها روبرت فريدمان «إن مجموعات من اليهود المحملين بالقنابل كانوا سيقفزون من فوق جدار المدينة القديمة إلى ساحة المسجد». وقالت الصحيفة أيضًا: «لقد شيّد نموذج من المسجد لإجراء التدريبات وحساب الوقت اللازم لكل حركة. وصُنعت القنابل المحلية التي جُرّبت في الصحراء. وأجرى ميناحيم ليفي وهو قائد قوة احتياط هندسية في الجيش الإسرائيلي حساباته لتحديد الجهة التي سينهار المسجد باتجاهها بعد نسفه والمدى الذي ستصل إليه الشظايا المتطايرة. ولكنهم اعتُقلوا قبل أن ينفذوا مخططهم. وفي أثناء المحاكمة عوملوا كأبطال كبار. وقد اعترف أحد الإرهابيين ويدعى إيهودا إتيزيون أن تقصير الحكومة الإسرائيلية في «تطهير» الموقع الإسلامي، أوجب عليّ أن أقوم بذلك. لم يندم، بل قال للمحكمة: إنني بريء مائة بالمائة، لأن البناء - قبة الصخرة - يجب أن يزال.

لم يحكم على أي من المسلّحين بعقوبة طويلة. فالرئيس الإسرائيلي استبدل بعقوبة السجن غرامات مالية. ولم يكن المال ينقص هؤلاء المسلحين لأن الدولارات تنهمر عليهم من مسيحيي ويهود الولايات المتحدة.

وتشكل وزارة المال (الأمريكية) المصدر الأكبر لتمويل جوش إيمونيم والمستوطنات غير الشرعية في شرق القدس والضفة الغربية. ذلك أن مئات الملايين من دولارات الضرائب تضخ إليها لبناء مستوطنات غير شرعية، مع ما تتطلّبه هذه المستوطنات من بنية تحتية مكلفة.

❑ ❑ ❑

اليمـــين المسيحـــي
إســــرائيل ويهـود أمـــريكـا

الفصل الحادي عشر

اليمين المسيحي واللاسامية

كتب البروفيسور كيلي إينجرام الأستاذ المتقاعد من مدرسة اللاهوت في جامعة دوك، في دراسة له: «إن الكنيسة المسيحية كانت على مدى تاريخها معادية للسامية». وقد نشرت الدراسة مجلة «لينك» في نوفمبر ١٩٨٣، وهي بعنوان «جذور المسيحية اللاسامية». وتشير دراسته إلى أنه على مدى ١٧٠٠ سنة مارست الكنيسة الكراهية المؤسسة على قضايا عقائدية.

كانت معاداة السامية شديدة بصورة خاصة خلال الثلاثمائة سنة الأولى من العصر المسيحي، وذلك عندما كانت الكنيسة المسيحية والجماعة الدينية اليهودية ندّين. ولإثبات هذه النقطة استند البروفيسور إينجرام إلى عدد من قادة الكنيسة الأوائل:

* جوستين مارتير، وافق على تدمير إسرائيل. واعتبر «معاناة اليهود حقًا». ونقل عن أشعيا قوله: «إن بلادكم قفر ومدنكم طعم للنار، وأرضكم مستباحة للغرباء وأنتم تشاهدون».
* تارتوليان، تحدث عن اليهود بكراهية واضحة. وقال إن تحوّل هيكلهم وبلادهم إلى ركام وتشتت شملهم في العالم كله، هما عقاب لهم.
* هيبوليتوس، روما، اتهم اليهود بالمشاركة في اضطهاد المسيحيين.
* أوسيبيوس، قيسارية، في كتابه «تاريخ الطقوس الكنسية» كتب يقول: إن نبوءات العهد القديم تحققت في المسيح، وإن القوة والقيادة في إسرائيل

أصبحت بيد مسيحيّي المسيح. و«إن البعثة العالمية التاريخية لشعب إسرائيل انتزعت منهم وأعطيت إلى الكنائس المسيحية».

* ويذكر إينجرام في دراسته أنه بعد مرور ٣٠٠ سنة على تأسيسها تحولت المسيحية من فئة مُضْطَهَدة (بفتح الهاء) إلى قوة مارست الاضطهاد وآذت الآخرين.

تضامن رؤساء الكنيسة مع الأباطرة المسيحيين لمنع اليهود من الانخراط بالمسيحيين. وكما يقول المؤرخ البريطاني سيسيل روث، «أبعد المسيحيون اليهود عن النشاط العادي، وحصروهم بالنشاطات التي أدت إلى توفير مواصفات خاصة لعلاقتهم الدولية ولقدرتهم على التكيف وفطنتهم».

* كان الصليبيون ـ الإنجليز خصوصًا ـ غلاظًا في اضطهادهم لليهود؛ إذ حرموهم من التمتع بثرواتهم غير الشرعية في الوقت الذي كان الجنود يحاربون من أجل طرد المسلمين من الأرض المقدسة والانتقام للصلب (المسيح). فقد أباد الجنود المسيحيون مجتمعات يهودية من جذورها.

* أغلقت أوروبة الغربية المسيحية كل أبوابها في وجه اليهود. ففي عام ١٢٩٠ طُرد اليهود من إنجلترا، وفي عام ١٤٩٢ طردوا من إسبانيا، وبعد ذلك بوقت قصير طردوا من البرتغال.

* أبدى مارتن لوثر قائد (حركة) الإصلاح (الديني) كرها مرّا ضد اليهودية واليهود. فقال «يجب أن يطرد اليهود من الدولة (ألمانيا) وأن يمنعوا من عبادة الله، وأن تصادر التوراة وسائر كتب الصلاة لديهم، وأن كنسهم يجب أن تحرق وبيوتهم يجب أن تدمر».

مع (حركة) الإصلاح تحوّل العديد من المسيحيين من كراهية اليهودية واليهود إلى نوع آخر من التمييز يدعى السامية الفلسفية التي تدعو إلى اعتبار اليهود الشركاء «المحبوبين»، ليس لأنهم يهود ويمارسون اليهودية، ولكن لأن لهم دوراً في خلاص المسيحيين.

تجد السامية الفلسفية تعبيرها أيضًا في المسيحية الصهيونية، وهو موضوع بحثه الفلسطيني المسيحي جوناثان كتّاب في الفصل التاسع.

لا يزال الأصوليون اليوم لاساميين بصورة عامة، من شدة «حب» معظمهم لإسرائيل، وهو الحب الذي يجعل اليهود مختلفين ومحكومين بالإبادة. مع ذلك لم يكن كل الأصوليين المسيحيين ـ وليسوا الآن ـ لاساميين. فكما هو متوقع في كل جماعة، توجد اختلافات شخصية وسياسية بينهم، الأمر الذي يجعل التعميم خاطئًا وخطيراً.

مع ذلك فإن لمعظم الأصوليين ذوي النفوذ والذين يتمتّعون باحترام في دوائرهم الخاصة، تاريخًا حافلا بتعليم أتباعهم أن اليهود كانوا وراء كل متاعب العالم. ففي الثلاثينيات كان الأصوليون ـ أمثال أرنولد جايبالين رئيس تحرير صحيفة أملنا (أورهوب) وجيمس م. جراي رئيس معهد مودي الإنجيلي، وجيرالد ب. وينفورد مؤسس «المدافعون عن العقيدة المسيحية» ـ يعلّمون أتباعهم بأن اليهود كانوا المحرضين على القيام بمؤامرة عالمية.

فقد أسسوا مقالاتهم اللاسامية على «بروتوكولات حكماء صهيون» وهي عبارة عن سلسلة من الأحداث السرية التي تدّعي أن اليهود خططوا لتدمير المسيحية ونسف الحكومات الديمقراطية والسيطرة على الاقتصاد العالمي ومن ثم على العالم. صدرت هذه البروتوكولات أساسًا في روسيا إلا أنها طبعت للمرة الأولى في الولايات المتحدة، وتحديداً في صحيفة هنري فورد ـ ديبورن إندبندنت (ديبورن المستقلة) وذلك في عام ١٩٢٠، تحت عنوان «اليهودي العالمي». ومنذ ذلك الوقت أصبح الكتاب جزءاً أساسيًا من اللاسامية المنظمة.

ويقول المؤرّخ الكنسي تيموثي ويبر إنه مع نهاية الثلاثينيات أدرك المزيد من الأصوليين أن أولئك الذين روّجوا للبروتوكولات ولفكرة المؤامرة اليهودية العالمية يبدون كثيري الشبه بالمتعاطفين مع النازية.

ويقول إنه في الأربعينيات وبعد وقوع الحرب وبروز حملة هتلر الإبادية التي لا خلاف عليها ضد اليهود، فإن هؤلاء الأصوليين انكفئوا عن اللاسامية. وفي عام ١٩٤٨ وبعد إقامة إسرائيل تغيّر أولئك الذين اتهموا اليهود بالإعداد لمؤامرة عالمية، ولكنهم استمروا على لاساميتهم ولو بطريقة مختلفة. أصبحوا أذكياء ولطفاء ومتعاونين. أصبحوا ممتنين بحب. فاليهود يفعلون أخيراً ما هو مفترض

فيهم أن يفعلوه : مغادرة بولندة وروسيا وألمانيا وإنكلترا والولايات المتحدة، والتوجه إلى فلسطين لإعادة إحياء إسرائيل .

توافق ذلك مع معتقداتهم القدرية فأصبحوا يؤيّدون بقوة الدولة اليهودية . يمكن لهم ولأي كان أن ينتقد فرنسا أو إنكلترا أو ألمانيا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة أو أي دولة أخرى في العالم . فالانتقاد قضية سياسية، ولكن انتقاد إسرائيل هو بمثابة انتقاد لله .

وفي الوقت الذي يتحدث فيه القدريون عن حبهم لإسرائيل فإنهم لا يخفون مشاعر عدم حبهم لليهود . ويبدو أن رجل الخير البريطاني اللورد شافتسبري (١٨٠١ـ١٨٨٥)، وهو من أوائل القدريين نموذجيّا في هذا الشأن، وكان يُعرف «بالإصلاحي الكبير» وذلك بسبب مبادرته إلى توفير معاملة إنسانية أفضل للأطفال العاملين، وللمعوّقين عقليا، وللسجناء، وجد أن الخطة الإلهية بشأن العودة الثانية للمسيح تعطي اليهود دوراً أساسيا ؛ وكما فسّر النصوص المقدسة، فإن العودة الثانية لا تتحقق إلا اذا كان اليهود يعيشون في إسرائيل المسترجعة . ويشير أستاذ علوم الدين والكاهن المشيخي دونالد واجنر إلى أن شافتسبري شدد على «أن اليهود ضروريون لأمل الخلاص عند المسيحيين» . إضافة إلى ذلك وجد في انتقال اليهود إلى فلسطين مكاسب تجارية . ورأى أن إقامة نقطة ارتكاز يهودية قوية في فلسطين تحت سيطرة بريطانيا تمكّن بريطانيا من التفوّق على فرنسا والهيمنة على الشرق الأدنى . كما توفر لبريطانيا ممرّا بريّا مباشراً إلى الهند، وتفتح أسواقًا كبيرة أمام مصالحها الاقتصادية .

لم يكن يحدث ذلك مصادفة . فقد قال واجنر في كتابه ـ التوق إلى هرمجيدون ـ إن هذه الأهداف السياسية توافقت مع أهداف وزارة الخارجية البريطانية .

واستنتج واجنر من ذلك أن شافتسبري كان قدريّا نموذجيّا . لقد أراد أن يذهب كل اليهود إلى فلسطين : فاصنعوا إسرائيل إذن . ولكنه لم يحب اليهود كيهود . كان يصفهم بأنهم ذوو قلوب سوداء ورقاب غليظة . وكان يقول عنهم إنهم غارقون في الإثم وفي الانحلال الأخلاقي وفي جهل المسيح ومملكة الرب .



درجات الكراهية

اللاسامي هو الشخص الذي يكره اليهود أكثر مما ينبغي أن يكرههم .

ـ جيمس روبنسون ـ تلفزيوني إنجيلي

هرمجيدون لليهود

كنت أنظر من فوق تل مرتفع إلى سهل مجيدو عندما قال لي رفيق السفر كلايد إن المسيح سوف يقود في هذا الموقع قوات الخير ضد قوات الشر، وإن ثلثي اليهود سوف يُقتلون هنا استنادًا إلى أصحاح زكريا ٩-٨/١٣. وبعد عملية حسابية قال : سيقتل ثمانية ملايين يهودي، «وعلى مدى ٢٠٠ ميل سيرتفع الدم إلى الجمة الخيل».

وعندما أبديت اهتمامًا بهذا السيناريو شرح كلايد قائلا : إن الله يفعل ذلك خصيصًا من أجل شعبه القديم، اليهود. لقد وضع خطة في سبع سنوات لنهاية الزمن من أجل تطهير اليهود وتمكينهم من رؤية النور والاعتراف بالمسيح مخلّصًا لهم.

وسألته : ولكن لماذا يختار الله شعبًا «شعبه المختار» ـــ كما يقول كلايد ـــ ثم يعمل على إبادة معظمه ؟ فيردّ كلايد : كما قلت، إن الله معني بتطهرهم. إنه يريدهم أن ينحنوا أمام ابنه، سيدنا المسيح. فقلت : ولكن لن يبقى سوى القليل ؟ هل يبقون من أجل دفن موتاهم ؟ أجاب كلايد : نعم. سيبقى ١٤٤ ألفًا. ومن ثم سيتحولون إلى المسيح.

بعد معركة هرمجيدون لن يبقى سوى ١٤٤ ألف يهودي. إن كل رجل أو امرأة أو طفل من هؤلاء اليهود سوف ينحني للمسيح. وما أن يتحولوا إلى المسيحية فإن كل الكبار منهم سيبدءون على الفور التبشير بتعاليم المسيح. وسيكون هؤلاء اليهود مثل ١٤٤ ألف بيلي جراهام أطلق لهم العنان للتبشير.

ـ هول ليدنسي ـ كاتب ومحاضر

سيبقى اليهود عميان طالما أنهم لا يتحولون (إلى المسيحية).

ـ جيري فولويل، «اسمعي، أمريكا»

أنا أعرف أن العديد منكم هنا اليوم لايحبون اليهود. وأعرف لماذا يستطيع اليهودي أن يجني أموالا بالصدفة أكثر مما يجنيه الواحد منكم بالتصميم.

- جيري فولويل

من هو عدو المسيح ؟.. بالطبع سيكون يهوديًا.

- جيري فولويل

سأل صحفي يهودي دان فور الناطق باسم «الأكثرية الأخلاقية» إذا لم أؤمن بالمسيح، هل أذهب إلى جهنم ؟ فرد فور : نعم، هذا صحيح.

يقول بيلي سميث الرئيس السابق للمحفل المعمداني الجنوبي، إن الله يستمع إلى صلاة المسيحي «ولكن الله لا يسمع صلاة اليهودي».

لقد كره العالم اليهود باستمرار. إن قلبي يدمى لهذا الشعب.

- جاك فان إيمب - تلفزيوني إنجيلي

إن الشيء الوحيد الذي يمنع وقوع محرقة يهودية هو ندم إسرائيل.

- دوايت بينتوكوست القدَري في مقابلة مع الكاتب بول بوير

إن عبارة جيري فولويل بأن عدو المسيح المتوج بالشرّ هو يهودي، تلامس اللاسامية في أحسن الأحوال، وهي لا سامية في أسوئها. يبدو واضحًا بعد سنوات من الحوار المسيحي - اليهودي أن القس فولويل لم يتعلّم شيئًا.

- إبراهام هـ. فوكسمان - المدير العام «لعصبة مناهضة الافتراء»

الفصل الثاني عشر

اليمين المسيحي .. ويهود أمريكا

من تقاليد يهود أمريكا ـ الذين خبروا التمييز ـ التحالف مع غيرهم من الذين عانوا أيضًا العنصرية. لذلك كانوا ليبراليين ومؤيدين للمطالب الليبرالية. ولكن بعد سيطرة إسرائيل على الأراضي العربية في عام ١٩٦٧، والتي ترفض أن تتخلى عنها، تحركت الدولة اليهودية نحو اليمين المحافظ. ولأن دعم إسرائيل يحتلّ لدى يهود أمريكا الأولوية، فقد تحركوا بسرعة في هذا الاتجاه أيضًا.

لاحظ إيرفن هوي وبرنارد روزنبرغ في كتابهما «المحافظون الجدد» «أن الأمر المثير الذي لابد من ملاحظته هو أنه في الوقت الذي تتصرف فيه إسرائيل ـ ويجب أن تتصرف ـ كدولة مع دول أخرى، فإن نفوذها على يهود أمريكا ربما يكون ـ بل يجب أن يكون ـ محافظًا». وعندما أصبح يهود أمريكا محافظين أكثر، تبيّن لهما أن اليمين الإسرائيلي واليمين المسيحي كحركتين وطنيتين ومسلحتين، لهما عقيدة تتمحور حول إسرائيل والأرض.

يقدم ناثان بيرلموتر من عصبة مقاومة الافتراء التابعة (لمنظمة) بناي بريث (وهي منظمة يهودية متطرفة) شرحًا واضحًا حول أسباب تأييد يهود أمريكا لليمين المسيحي. فيقول أولا: يشعر أنه بكيفية ما يشكل نموذجًا لليهودي الأمريكي من حيث إنه يقيس كل قضية في حياته بمقياس وحيد: هل هي في مصلحة اليهود؟ فإذا كان الجواب عن السؤال كافيًا انتقل بعد ذلك إلى الأمور الثانوية.

بالنسبة لموضوع جيري فولويل، فإن على اليهود الليبراليين دعمه لأنه يدعم إسرائيل. تلك عند بيرلموتر القضية الأساسية. قد لا يوافق اليهود الليبراليون على سياسة فولويل المحلية بشأن تعزيز الترسانة النووية، والإجهاض، والصلاة في المدارس، غير أن بيرلموتر يعتبر ذلك كله مجرد قضايا ثانوية. فهو يقول في كتابه

«اللاسامية الحقيقية في أمريكا» : «يستطيع اليهود أن يتعايشوا مع الأولويات المحلية لليمين المسيحي على الرغم من اختلاف وجهة نظر الليبراليين اليهود معهم اختلافًا جوهريا، وذلك لأن هذه القضايا كلها ليست في مستوى أهمية إسرائيل».

يعترف بيرلموتر بأن الأصوليين الإنجيليين يفسرون النص الديني على أنه يقول إن على جميع اليهود الإيمان بالمسيح أو القتل في معركة هرمجيدون، ويقول: «في الوقت الحاضر نحتاج إلى جميع الأصدقاء لدعم إسرائيل. فإذا جاء المسيح، يومذاك نفكّر بالأمر. أما الآن فلنمجّد الرب ولنرسل الذخيرة (إلى إسرائيل)».

كذلك يحث إيرفين كريستول المعبّر عن الشريحة المثقفة من يهود نيويورك، الأمريكيين اليهود على دعم جيري فولويل وغيره من اليمينيين الأصوليين. ويدعوهم بإلحاح إلى تناسي الليبرالية وإلى الانضمام إلى اليمين المتطرّف». وهو يعتقد بأن على كل واحد منا السّير في هذا الاتجاه، ولذلك فإن من مصلحة اليهود - في هذا «العالم الحقيقي»، - دعم المحافظين المتطرفين. ويقول كريستول عن جيري فولويل إنه «مؤيد لإسرائيل بقوة». ويضيف: أحيانًا يقول المبشر الأصولي إن الله لا يسمع صلاة اليهودي، ولكن لماذا على اليهود أن يكترثوا لعقيدة مبشر أصولي طالما أنهم لا يصدقون ولو للحظة واحدة أن له صلاحية التحدث عن مدى اهتمام الله بصلاة الإنسان؟ وماذا يضيرنا من مثل هذه المعتقدات طالما أن الواقع العملي هو أن هذا المبشر نفسه مؤيد لإسرائيل بقوة؟. ففي عالم حافل بالصراعات والوحشية، فإن كريستول يحثّ يهود أمريكا على تبنّي القضايا الاجتماعية التي يطرحها اليمين الديني.

إن السياسة هي أكثر أهمية من القيم الروحية. ولذلك يقول الحاخام الإصلاحي ألكسندر م. شيندلر رئيس اتحاد المؤتمرات العبرية الأمريكية: «إن معظم القادة اليهود على استعداد للتسامح في كل شيء طالما أنهم يسمعون كلامًا طيبًا عن إسرائيل».

ولقد ذهب جاك تورزايمر، المدير التنفيذي للفرع الأمريكي في المنظمة الصهيونية العالمية، إلى أبعد من ذلك عندما قال إنه من الطبيعي أن يتعانق الصهيونيون مع اليمين المسيحي. ذلك أن المتطرفين في الجناح اليميني هم حلفاء طبيعيون للصهيونية وليس الليبراليون».

وأعرب إليك رسنيك رئيس المنظمة الصهيونية الأمريكية عن اعتقاد واضح بأنه يؤيد التحالف اليهودي ـ الأصولي. وقال رسنيك أمام مؤتمر قادة المنظمات الصهيونية الذي عُقد في القدس في يونيو ١٩٨٤ : « إننا نرحب ونؤيد هذا النوع من الدعم المسيحي لإسرائيل ».

وتحدث في المؤتمر أيضًا لاري هوروفيتز ضابط الارتباط بين إسرائيل والإنجيليين، والذي يعمل في مكتب رئيس الوزراء، فشدّد على أن إسرائيل ترحب بدعم اليمين الإنجيلي وقال : «إن الأصوليين المسيحيين هم في الدرجة الأولى مؤيدون لإسرائيل. وعندما يتعلّق الأمر بتجييش الدعم فإننا نتجنب عملية التمييز والاختيار بين المؤيّدين.

وبالنظر لأهمية التحالف مع الأصوليين المسيحيين فقد عيّن مجلس الحاخاميين، الحاخام أبنر ويس ضابط ارتباط مع اليمين المسيحي الجديد. ومن قادة يهود أمريكا المؤيدين للتحالف مع اليمين الديني كل من الحاخام سيمور سيجل من المعهد اللاهوتي اليهودي (محافظ). والحاخام جوشوا هابرمن من المحفل اليهودي في واشنطن (إصلاحي) والدكتور هارولد جاكوب رئيس المجلس الوطني لشباب إسرائيل (أرثوذكسي) والحاخام دافيد بانيتز من عصبة مقاومة الافتراء التابعة لمنظمة بناي بريث.

ولقد أنشأ قادة الميليشيات اليهودية وقادة المسيحيين القدريين حلفًا يتبنى هذه العقيدة. لا تتعلق هذه العقيدة بالقيم الروحية أو بتوفير حياة رغيدة بقدر ما تتعلق بالقوة السياسية والتملك، وبمجموعة من الناس تحتكر لنفسها حقّ تملك أرض مقدسة هي للرسالات الثلاث. إنها عقيدة تتمركز بصورة كلية حول كيان سياسي صغير هو إسرائيل. إن كلا من القادة اليهود، والقادة القدريين، يضعون تملّك الأرض على رأس الأولويات في حياتهم حتى أنهم يصنعون لذلك فرقة دينية. إن كل فريق منهم يقوم بذلك بخبث، ولأهدافه الأنانية الخاصّة.

❑ ❑ ❑

عسكريون ينضمون إلى عسكريين

دعا دوجلاس كريكر أحد القادة الإنجيليين في دنفر - كولورادو، وهو على صلة وثيقة بتيري رينهوفر، لجمع المال من أجل إزالة المسجد (الأقصى) وبناء الهيكل في القدس، وحثّ إسرائيل على العمل مع الأصوليين الإنجيليين والتعاون معهم مقابل دعمهم لإسرائيل.

وفي دراسة تحليلية مطولة قدمت إلى قادة إسرائيل واليهود الأمريكان، أشار كريكر إلى أنه تبعًا للحروب التي تخوضها إسرائيل، فإن أمامها خيارين اثنين: إما أن تنشد السلام وتنسحب من «الأراضي التي كسبتها بالحرب» كما ورد في شرعة الأمم المتحدة وفي القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨؛ أو أن تواصل الاعتماد على قوة عسكرية أكبر.

إذا عمل الإسرائيليون بالخيار الثاني، وواصلوا تضخيم ترسانتهم العسكرية — وهو ما يحثهم كريكر على القيام به بصفته قدَريًا - فإن على الإسرائيليين وعلى يهود أمريكا مواجهة خطر انفجار اللاسامية.

ونظرًا لمصادرة إسرائيل للأراضي العربية، فإن اللاسامية يمكن أن تغمر الغرب. وقال كريكر «يمكن أنه نحول دون ذلك من خلال تحالف إسرائيل مع اليمين المسيحي الجديد». وأشار إلى أن بإمكان إسرائيل استخدام الأصوليين الإنجيليين ليقدموا من خلال شبكاتهم الإذاعية والتلفزيونية صورة عن إسرائيل التي تعجب الأمريكيين وتحملهم على قبولها ودعمها.

أكثر من ذلك، قال كريكر: «يستطيع اليمين الديني أن يسوّق للأمريكيين الفكرة بأن الله يريد إسرائيل عسكرية ومعسكرة. وأنه كلما كانت إسرائيل معسكرة كان اليمين في الولايات المتحدة أكثر دعمًا لها وأشد انجذابا إليها».

اليمين المسيحي والسياسة

الفصل الثالث عشر

اليمين المسيحي وسياسة الشرق الأوسط

خلال الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية اجتمع الرئيس روزفلت في أعالي البحار مع الملك عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية. قال روزفلت للعاهل السعودي : إن هتلر والنازيين اضطهدوا اليهود. فاليهود يحتاجون إلى وطن. ولكن ماذا عن فلسطين ؟

لقد ردّ الملك عبد العزيز قائلا : «ليس الفلسطينيون هم الذين اضطهدوا اليهود. النازيون هم الذين فعلوا ذلك. إن من الخطأ معاقبة الفلسطينيين بسبب ما فعله النازيون. لا يمكن أن أوافق على سلخ وطن عن شعب لإعطائه لشعب آخر».

كان للأصوليين المسيحيين شعور آخر. اعتبروا أن نقل اليهود إلى فلسطين ـ حيث عاشت قلة منهم طوال الألفي سنة الأخيرة ـ تعني «تحقيق» النبوءة التوراتية.

* في عام ١٩٤٨ كان ترومان من أوائل الذين اعترفوا بالدولة اليهودية. في ذلك الوقت لم تكن الأكثرية الساحقة من يهود أمريكا تضغط من أجل دولة يهودية. فقد عارضها كثيرون بمن فيهم ناشر صحيفة نيويورك تايمز آرثر هايز سولزبرجر. غير أن حفنة صغيرة من الصهيونيين الأقوياء تمكنت من الوصول إلى أذن ترومان وإلى صوته. لقد أسعد ترومان باعترافه بإسرائيل الصهيونيين المتفانين، إضافة إلى أكثرية كبيرة من المسيحيين الأمريكان. ولكنه بهذا العمل تنكّر لأصوات عشرات الملايين من العرب والمسلمين المنتشرين حول العالم والذين عارضوا إبعاد الفلسطينيين من وطنهم.

* في عام ١٩٥٦ هاجمت إسرائيل مصر بدعم فرنسي وبريطاني. أراد

الإسرائيليون سيناء، وأراد الفرنسيون والإنكليز قناة السويس. عارضت الولايات المتحدة بقيادة الرئيس إيزنهاور هذا العمل. وبذلك أصبح إيزنهاور الرئيس الأمريكي الأول والوحيد الذي اتخذ مثل هذا الموقف الجريء الذي يعاكس اعتقاداً واسع النطاق بأن الله يرعى ـ وأن على الولايات المتحدة أن ترعى ـ أي عمل تقوم به إسرائيل.

* في عام ١٩٦٧ بدأت الولايات المتحدة بالسماح لليهود الأمريكان التصويت في الانتخابات الإسرائيلية. وقد حدث ذلك عندما رجح صوت إيب فورتس ـ أحد أقوى اليهود الأمريكان ـ في مجلس القضاء الأعلى حكماً بالسماح ليهودي أمريكي يدعى بايس أفرويم بالتصويت في انتخابات الكنيست وفي غيرها من الانتخابات السياسية الإسرائيلية. فحتى صدور ذلك القرار، كان الجزء ٤٠١ ـ من القانون الوطني الصادر في عام ١٩٤٠ ـ ينص على أن أي مواطن أمريكي يفقد جنسيته الأمريكية، بمجرد أن يصوّت في انتخابات سياسية في دولة أجنبية.

* في عام ١٩٦٧ هاجمت إسرائيل العرب المجاورين لها. وخوفاً من أن تتدخل سفينة التجسس الأمريكية ليبرتي التي كانت تبحر في المتوسط، بما يؤثّر على طموحات الإسرائيليين التوسعية، أطلق الإسرائيليون قذائف الطوربيد على السفينة فقتلوا ٣٤ بحاراً أمريكياً وأصابوا ١٧١ آخر بجراح. في ذلك العام كنت أعمل كاتبة للرئيس جونسون ضمن طاقم موظفي البيت الأبيض. لم أكن أعرف شيئاً عن الهجوم ولم يعرف الشعب الأمريكي أيضاً. جونسون كان يعرف. ولكن بدلا من انتقاد إسرائيل تواطأ مع أولئك الذين قتلوا الأمريكيين. فبعد قذف ليبرتي بالطوربيد وتعطيل احتمال تنصّتها على مخططاتهم السرية، غزت إسرائيل سورية واحتلت مرتفعات الجولان. ويقول جيمس إينز أحد ضباط ليبرتي: «لم ينتقد أي مسئول أمريكي وهو في السلطة إسرائيل بسبب هجومها المتعمد».

* في أثناء حرب ١٩٦٧، فرضت إسرائيل سيطرتها العسكرية إضافة إلى مرتفعات الجولان على صحراء سيناء وعلى المناطق الواقعة غربي نهر

الأردن ـ الضفة الغربية ـ وعلى قطاع غزة وكذلك على شرقي القدس العربية. استناداً إلى القانون الدولي فإن احتلال ومصادرة الأرض عسكريا هو عمل غير شرعي. غير أن اليمين الديني يقول إن القانون الدولي يطبق على كل أمم العالم باستثناء إسرائيل. ويدعو جيري فولويل زعماء إسرائيل إلى عدم الخضوع للقانون الدولي.

* في عام ١٩٨٠ ومن أجل تجاوز ردود الفعل المعارضة بسبب ضمّها شرقي القدس العربية دعمت الحكومة الإسرائيلية إنشاء منظمة مسيحية يمينية تدعى «السفارة المسيحية الدولية». وجهزت الحكومة الإسرائيلية لها منزلا في غرب القدس كانت تملكه عائلة سعيد العربية؛ وينحدر من هذه العائلة الكاتب الأمريكي ـ الفلسطيني المعروف إدوارد سعيد الأستاذ في جامعة كولومبيا.

إن آل سعيد هم من بين الملايين من الفلسطينيين الذين انتزعت منهم بيوتهم والذين يعيشون في المنفى.

وبمناسبة الإعلان عن إنشاء السفارة المسيحية الجديدة أقام الإسرائيليون والصهيونيون المسيحيون احتفالات حضرها كبار المسئولين الإسرائيليين كما حضرتها ألف شخصية مسيحية تمثل ٢٣ دولة. ولقد زرت مرتين هذه القاعدة الخاصة بدعاة هرمجيدون المدعومة إسرائيليا. قابلت المدير يوهان لاكهوف، وهو مسيحي من جنوب أفريقيا، الذي قال إنه يشعر بالاعتزاز لو أن ابنه يستطيع أن يقاتل العرب وأن يموت وهو بملابس الجنود الإسرائيليين. إنه كغيره من القدريين، جعل من أرض إسرائيل عقيدة عبادية. ولذلك يقول عنه الإسرائيليون بسخرية إنه أكثر إسرائيليةً من أي منهم. انطلق قادة السفارة الإسرائيلية من القدس وطافوا حول العالم لافتتاح «سفارات» مسيحية في ٣٧ دولة في أوروبة وأمريكا الشمالية وآسيا وأستراليا وكذلك في الولايات المتحدة حيث يوجد حوالي ٢٠٠ مكتب لها. أما مهمة هذه المكاتب فهي سياسية علنًا وتبشيريّة سرّاً.

* في عام ١٩٨٢ غزت إسرائيل بدباباتها لبنان المجاور لها. قاد إيريل شارون الهجوم. وكان بات روبرتسون في سيارة جيب إسرائيلية ترافق قوافل

المهاجمين. أدت الحرب إلى مقتل وجرح ۲۰۰ ألف لبناني وفلسطيني، معظمهم من المدنيين. ويقول روبرتسون إن إسرائيل بشنّها الحرب على جيرانها تحقق مشيئة الله.

إذا كان روبرتسون لم يقاتل في الحرب، فإنّ مواطنين يهود أمريكان لبسوا ملابس الجنود الإسرائيليين وقاتلوا إلى جانبهم. ويقول الكاتب اليهودي إسرائيل شاحاك: «إنّ إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تتمتّع بامتياز يسمح لمواطنين أمريكيين أن يقاتلوا معها في حروبها». يستطيع اليهود الأمريكان الحصول على إذن من الإدارة الأمريكية للتطوع والخدمة في الجيش الإسرائيلي، وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من هؤلاء اليهود الأمريكان سارع للتطوع في أثناء غزو لبنان في عام ۱۹۸۲، فإن الرقابة الإسرائيلية حظرت أي ذكر لهم مما جعلهم غير منظورين للإعلام الأمريكي.

* في أغسطس ۱۹۸٥ حضرت أول مؤتمرات المسيحية الصهيونية التي عقدت استجابة لتحريض من إسرائيل ومن المسيحيين القدريين. فقد عقد المؤتمر في بال بسويسرا في القاعة نفسها حيث عقد قبل ۸۸ عامًا الصحفي ثيودور هرتزل ـ وكان يهوديا علمانيا ـ أول مؤتمر يهودي صهيوني بهدف دعوة كل اليهود للعيش معًا.

كنت واحدة من بين ٥٨٩ شخصًا من ۲۷ دولة يشاركون في مؤتمر الأيام الثلاثة. عقدنا جلسات بمعدل ۱۲ ساعة في اليوم. واستمعنا إلى قادة إسرائيليين ومسيحيين كبار. لقد استغرقت الاجتماعات ٣٦ ساعة ذهب ۹۹ بالمائة منها على السياسة. لم يبد المؤتمر أي اهتمام بالمسيح. كان منشغلا فقط بمعرفة كيف تستطيع إسرائيل دعم الرزنامة السياسية للقدريين، وكيف يستطيع القدريون دعم الرزنامة السياسية للإسرائيليين.

* في عام ۱۹۹۱ شنت الولايات المتحدة حربًا على العراق بسبب غزوه جارته الكويت. لقد قُصف العراق حتى عاد كما يقول بعضهم إلى «العصر الحجري». لا يملك العراق أسلحة نووية. في حين أن إسرائيل تملك ـ استناداً إلى جهاز المخابرات المركزية الأمريكية «سي. آي. إيه» ـ أسلحة نووية منذ عام ۱۹٦۷، وفي ترسانتها حاليًا أكثر من ۲۰۰ (قنبلة).

* في عام ١٩٩٦ ترأس نتنياهو الذي كان انتخب رئيسًا جديداً للحكومة الإسرائيلية، المجلس الإسرائيلي المسيحي . فدعا ١٧ من القادة الأصوليين والإنجيليين لزيارة إسرائيل بمن فيهم دون أركي، رئيس التحالف الوطني الإنجيلي، وبراند جوستافسون رئيس المذيعين الوطنيين الدينيين، ودونالد ويلدمون رئيس الاتحاد العائلي الأمريكي. هؤلاء القادة الذين يمثلون عدة ملايين مسيحي وقّعوا على عريضة يعربون فيها عن الأمل بأن «لا تتخلى أمريكا أبدًا عن إسرائيل».

* في العاشر من إبريل ١٩٩٧، نشر القدريون المسيحيون إعلانًا مؤيداً لإسرائيل في صحيفة نيويورك تايمز، واستخدموا عبارات من الكتاب المقدس للتأكيد على أن «القدس هي العاصمة الروحية والسياسية للشعب اليهودي وحده طوال ثلاثة آلاف عام». ووقع على الإعلان بات روبرتسون، ورالف ريد رئيس التضامن المسيحي، وأ. ماكتير عن منظمة الطاولة المستديرة الدينية، إضافة إلى فولويل.

* في يناير ١٩٩٨ ساعد فولويل على تنظيم لقاء بين رئيس الحكومة الإسرائيلية نتنياهو ومؤيدي إسرائيل المسيحيين، بمن فيهم قادة المحفل المعمداني الجنوبي موريس تشامبان وريتشارد لاند وكذلك جون هاجي من سان أنطونيو. تعهد المسيحيون باستنفار جماعاتهم ضد الضغوط التي تمارسها إدارة كلنتون على إسرائيل لحملها على التخلي عن أراضي فلسطينية. وأبلغ فولويل نتنياهو بوجود ٢٠٠ ألف كاهن إنجيلي في أمريكا «سنطلب منهم جميعًا عبر البريد الإلكتروني والفاكس والرسائل والهاتف، أن يتوجهوا إلى منابرهم الكنسية وأن يستخدموا نفوذهم لدعم دولة إسرائيل ورئيس وزرائها».

* في إبريل ١٩٩٨، خاطب رئيس الحكومة نتنياهو المؤيدين المسيحيين (لمنظمة) «التحالف الوطني الوحدوي من أجل إسرائيل» بمن فيهم كاي آرثر وتيري هيوسن (نادي السبعمائة) وبيج باترسون رئيس المحفل المعمداني الجنوبي، والمعلق الصحفي كال توماس، إضافة إلى السيناتور ترينت لوت والسيناتور سام براونباك، والنواب ديك أرمي، وريك جيفرت

وتوم ديلاي. وقد تحدث في هذا اللقاء جيري فولويل، فقال إن على المسيحيين أن يؤيدوا إسرائيل، وطالب إسرائيل بامتلاك القدس كلها.

* في إبريل ١٩٩٨ تشابكت مرة ثانية أيادي إسرائيل واليمين الديني. وتعاهد ثلاثة آلاف إنجيلي على دعم إسرائيل، بمن فيهم رالف ريد من التحالف المسيحي، وكاي آرثر من الكنيسة البريسبتية وجين هانسون من منظمة الوهج النسائي وبراند جرستافسون من المذيعين الدينيين الوطنيين. فقال الرئيس الإسرائيلي: «ليس لنا أصدقاء وحلفاء أعظم من الناس الذين يجلسون في هذه القاعة».

* في عام ١٩٩٨، جمع جون هاجي، وهو كاهن قدري من سان أنطونيو، مليون دولار من التبرعات لمساعدة اليهود السوفييت على الاستيطان في الأراضي الفلسطينية. وعندما سئل هاجي عما إذا كان يدرك أن عمله يتناقض مع القانون الدولي أجاب: «أنا عالم بالكتاب المقدس ولاهوتي. ومن منظاري فإن قانون الله يعلو فوق قانون حكومة الولايات المتحدة ووزارة الخارجية الأمريكية».

* في عام ١٩٩٨ ألغت إسرائيل التزاماتها باحترام اتفاقات سلام «واي» مع الفلسطينيين. وقد أشاد التحالف المسيحي بإسرائيل لتشددها ولرفضها السلام.

* في عام ١٩٩٨ بحث الرئيس كلنتون في إمكانية العفو عن الأمريكي جوناثان بولارد الذي سرق ـ استناداً إلى السلطات الأمريكية الرسمية ـ أسراراً من الولايات المتحدة أكثر من أي جاسوس آخر في التاريخ الأمريكي. ولقد اعترف بولارد وهو يهودي «إنني فعلت ذلك من أجل مصلحة بلادي» ويعني إسرائيل.

* في ٢٥ فبراير ١٩٩٩، أصدرت المحكمة العليا في إسرائيل حكمًا قضى بعدم تسليم الولايات المتحدة يهوديًا أمريكيًا لمحاكمته في الولايات المتحدة، على الرغم من أنه لم يسبق له أن عاش في إسرائيل بل هرب إليها طالبًا اللجوء. وبموجب قانون إسرائيلي صدر في عام ١٩٧٨، لا يسمح

لمواطن إسرائيلي بأن يسلّم إلى دولة أخرى لمحاكمته في الخارج. ولقد جاء حكم المحكمة العليا ردّاً على اتهام مواطن أمريكي من سكان مريلاند يدعى صموئيل شينبين بارتكاب جريمة قتل وتقطيع وإحراق جاره الفريدو إنريك تللو، ثم هرب إلى إسرائيل. ويقول المدعي العام الأمريكي دوجلاس جانسلر إن المتهم شينبين ولد ودرس وعاش كل حياته هنا (في أمريكا).

عندما أقام الصهيونيون الدولة اليهودية التزموا بقاعدة اعتبار جمع اليهود ـ في جميع دول العالم ـ مواطنين في الدولة اليهودية أولا وقبل كل شيء وبصورة آلية. والحكم الذي صدر في عام ١٩٧٨ بعدم تسليم مواطنين يهود إلى دولة أجنبية، يعكس استناداً إلى ما ذكرته صحيفة نيويورك تايمز في عدد ٢٥ فبراير ١٩٩٩ النظرية التي تقول إن اليهود لا يمكن أن يسلموا إلى محاكم الجنتيل (غير اليهود). ولقد جاء في نص الحكم الذي صدر عن المحكمة العليا في إسرائيل، إنه لا يغيّر من الأمر أنّ شينبين لم يعش أبداً في إسرائيل. فهو يهودي، ولا توجد حاجة لأي صلة أخرى مع إسرائيل حتى يعتبر مواطناً إسرائيليا.



الضربة النووية الإسرائيلية المبررة

اطّلعت على عرض في الإدارة العامة للناتو (حلف شمال الأطلسي) في بروكسل ، اعترف خلاله روبين بيرد مساعد مدير الدفاع وروبرت منتر سفيرنا لدى الناتو ، بأنهما قلقان بشأن احتمال وقوع صدام نووي في الشرق الأوسط . إنهما يعتقدان بأنه صدام لا يمكن تجنّبه .. فمسيرة السلام في الشرق الأوسط تبدو مأساوية . إسرائيل تتجه نحو تبادل نووي حتمي .. إن أملهم الوحيد بالبقاء هو ضربة نووية أولى مبررة .

ـ تشاك ميسلر ـ الإنجيلي ـ ١٥ مايو ١٩٩٥

إسرائيل والعرب

العالم العربي هو عالم معادٍ للمسيح .

ـ ويبر وهاتشينجز ـ في « هذا هو القرن الأخير»

إذا أدارت أمريكا ظهرها لإسرائيل ، لن تبقى إسرائيل كامة .

ـ الكاتب هول ليندسي

دينيًا ، على كل مسيحي أن يدعم إسرائيل . إذا فشلنا في حماية إسرائيل لن نبقى مهمين في نظر الله .

ـ جيري فولويل

تختصر تعاليم القدرية دور المجتمعات في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط على ما فيها من تنوع وتعقيدات ، باعتبارهم حلفاء ليأجوج في المأساة الإلهية حول نهاية العالم . فمن الواضح أن النبوءات الوشيكة الوقوع تتطلب اقتلاع العرب ليس من القدس فقط ، إنما من معظم الشرق الأوسط .. لقد وقفوا في طريق الوعود الإلهية لليهود .

ـ بول بوير ، «عندما يتلاشى الوقت»

المساعدة لإسرائيل

نحن ـــ دافعي الضرائب ـــ نقدم إلى دولة إسرائيل الصغيرة أكثر من ٦ مليار دولار كمساعدات خارجية وعسكرية في العام . إضافة إلى الملايين من دولارات دافعي الضرائب ترسل إلى إسرائيل عبر أجزاء أخرى من الموازنة الاتحادية .

كانت المساعدات الأمريكية لإسرائيل على الدوام موضوعًا حساسًا . فأعضاء الكونجرس لا يذكرون أبدًا حجمها الكامل. إذا فعلوا ذلك ، ربما تتساءل الدوائر الانتخابية لماذا تتلقَّى إسرائيل من المساعدات الاتحادية أكثر مما تحصل عليه الولايات الأمريكية التي تقاربها في عدد السكان الذين يدفعون الضريبة إلى الحكومة الاتحادية.

وخلال ٤٦ سنة خلت ـــ من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٩٥ – قدم دافعو الضرائب في الولايات المتحدة إلى إسرائيل ما مجموعه ٦٢,٥ مليار دولار . هذا يعني أننا أعطينا واحدة من أصغر دول العالم – حيث يقل عدد سكانها عن عدد سكان هونج كونج – من المساعدات المالية بقدر ما قدمناه إلى دول جنوب الصحراء الإفريقية وأمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي مجتمعة . إن مجموع المساعدات إلى هذه الدول تقدر بحوالي ٤٠ دولارًا عن الشخص الواحد . فيما تساوي المساعدات إلى إسرائيل ١٠,٧٧٥ دولارًا عن الشخص الواحد .

هذه المساعدة هي مساعدة خارجية رسمية .. ولكن خارج هذه الموازنة هناك كمية كبيرة من المساعدات الأمريكية الإضافية التي تتدفق من دافعي الضرائب إلى إسرائيل . ولا تظهر هذه المساعدات الإضافية على جداول المساعدات الأمريكية أو على جداول الدعم الخارجي .

فالهبات التي تقدم إلى إسرائيل تسرَّب عبر موازنات عدد من الوكالات الأمريكية ، من وزارة الزراعة إلى وكالة المعلومات . وتظهر معظمها في وزارة الدفاع . فإذا أضفنا هذه الهبات الإضافية نكون نحن ـــ دافعي الضرائب ـــ قد قدمنا لإسرائيل أكثر من ٨٣ مليار دولار ، أي ما يعادل أكثر من ١٤ ألف دولار سنويًا لكل إسرائيلي .

- ريتشارد كورتيس . متقاعد من وزارة الخارجية رئيس تحرير «تقرير واشنطن عن شئون الشرق الأوسط»

سياسة محبة إسرائيل

منذ مناحيم بيجن لم يقم أي رئيس وزراء إسرائيلي بزيارة للولايات المتحدة من دون أن يتصل بقادة اليمين المسيحي الجديد ويعقد معهم لقاءات مفتوحة أو مغلقة.

إن أهم ما حدث في السنوات العشرين الماضية هو إنشاء مجموعات من المنظمات الصغيرة الموالية لإسرائيل والتي تتمتع بعلاقات واسعة مع جذور المجتمع. ونادرًا ما تظهر هذه المنظمات في الإعلام . إن دورها هو تحريك المجموعات الإنجيلية المحلية لدعم إسرائيل .

تنظم «مؤسسة التجديد» في أطلنطا المؤتمرات والندوات وتدعو إلى ترويج الدعوة للاشتراك فيها حتى يدرك كل المؤمنين أن لهم حقًا في ميراث يهودية القرن الأول للكنيسة ... وفي حب إسرائيل وشعبها.

ويروّج «معهد أركنساس لدراسات الأرض المقدسة» في شيروود . أركنساس ، باعتباره كلية متخصصة ويمنح شهادات جامعية غير معتمدة «حول تاريخ الشرق الأوسط». وتطلب أبرشيات الميراث الإبراهيمي في هيوستن ، من المسيحيين أن يصلّوا أيام السبت وأن يلتزموا بالاحتفالات اليهودية .

في عام ١٩٩٥ نظم تيد بيكيت من كولورادو - سبرينج «الأصدقاء المسيحيون للجماعات الإسرائيلية » لتوفير التضامن والمساعدة للمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وغزة ، وذلك من خلال ربطها بالمحافل الإنجيلية في الولايات المتحدة . وفي عام ١٩٩٨ أصبح هناك ٣٥ محفلا معنيًا ، يتوقع من معظمها الاهتمام بإسرائيل في مجتمعاتهم .

- تيموثي ب - ديبر - عميد نورث بايسيت . أستاذ اللاهوت ومؤلف «العيش في ظل العودة الثانية»

الفصل الرابع عشر

اليمين المسيحي والسياسة المحلية

قد يعتقد البعض أن حربًا في الشرق الأوسط ـ حرب عام ١٩٦٧ عندما حققت إسرائيل انتصارات عسكرية على جيرانها العرب ـ لا تعني سوى القليل جدًّا بالنسبة للسياسة المحلية في الولايات المتحدة. غير أن تلك الحرب أدت إلى تبادل التعهد بين إسرائيل والكثيرين من يهود أمريكا على تبادل الدعم مع القدريين الأمريكيين أمثال جيري فولويل وأولئك الذين يسيطرون عمليًّا على أكبر مجموعة من الأمريكيين البروتستانت، كالمحفل المعمداني الجنوبي.

توجهت إسرائيل نحو زواج مصالح مع القدريين بعد أن بدأت تخسر تأييد بعض اليهود الليبراليين في أمريكا الذين كانوا يضغطون على الدولة اليهودية للتخلّي عن الأراضي العربية التي احتلّتها عسكريًّا مقابل اتفاقات سلام مع جيرانها ومنهم الفلسطينيون.

فإسرائيل التي ترفض التخلي عن الأراضي، سعت للحصول على التأييد عبر دهاليز القوة الأمريكية، من السياسيين الدينيين أمثال جيري فولويل وغيره من القدريين.

ويسجل ألن. س براونفلد من المجلس اليهودي الأمريكي كيف حدث تحوّل في سياسة الدعم الأمريكي لإسرائيل، عندما بادر الأصوليون المسيحيون إلى ملء الفراغ الذي أحدثه انقسام الأمريكيين اليهود. ويقول الدكتور جيمس برايز الذي كتب مع الدكتور وليم كودوين كتابًا عن جيري فولويل إنه «حتى عام ١٩٦٧ لم يكن فولويل يذكر إسرائيل في عظاته الكنسية. ولكن بعد هذا التاريخ جعل فولويل من إسرائيل موضوعه الرئيس. وذكر لي الدكتور برايز في مقابلة خاصة أجريتها معه ومع الدكتور كودوين: «إن الإسرائيليين استضافوا فولويل وسددوا نفقات رحلته واحتفوا به. فقد حمله جنرالات إسرائيليون بطائرة هيليكوبتر فوق مرتفعات

الجولان. وقام فولويل بزرع بعض الأشجار في المكان الذي يطلق عليه الآن اسم غابة فولويل. والتُقطت له صور هناك وهو جاثٍ على ركبتيه».

وقال لي الدكتور برايز أيضًا «إن رئيس الحكومة (مناحيم) بيجن طلب من فولويل أن يتوجه إلى الأراضي الفلسطينية وأن يعلن للفلسطينيين أن الله أعطى الضفة الغربية إلى اليهود». «وبالفعل توجه فولويل إلى هناك يرافقه المراسلون الصحفيون وحراسه الشخصيون، وأعلن وهو محاط بالمستوطنين اليهود أن الله كان لطيفًا مع أمريكا لأن أمريكا كانت لطيفة مع اليهود».

وفي عام ١٩٨٠ كرّم بيجن فولويل في احتفال كبير أقيم في نيويورك ومنحه أعلى جائزة إسرائيلية. لم يسبق لأي شخص من غير اليهود (الجنتيل) أن حصل على هذا التكريم من قبل. وتحمل الجائزة اسم فلاديمير زئيف جابوتنسكي، اليميني المتطرف وفيلسوف العقيدة الصهيونية، وكان جابوتنسكي قد أنشأ في عام ١٩٢٣ منظمة شبابية مسلحة لحمل اليهود على الهجرة إلى فلسطين. وهو الذي أطلق منظمة الهاغانا اليهودية والتي شكلت النواة الأولى للجيش الإسرائيلي.

ويقول الدكتور كودوين إنه لم يسبق لمعظم الأمريكيين أن سمعوا باسم جابوتنسكي. غير أن هذا الشخص يعتبر المفتاح لفهم الإعجاب الذي يبديه قادة اليمين الإسرائيلي العسكري المتطرف بالأصوليين المسيحيين أمثال فولويل. ذلك أن من أقوال جابوتنسكي قوله: «لتكن القوة هدفكم». إن فولويل يفكر مثل جابوتنسكي، والإسرائيليون يفهمون ذلك.

كان عليّ من أجل إجراء هذه المقابلة مع الأستاذ برايز وكودين أن أطير إلى مدينة لينشبرج وهي قاعدة عمليات فولويل ومسقط رأسه. وفور لقائنا في المطار قال لي الدكتور برايز: «لا يوجد لدى جيري فولويل واليمين المسيحي من صديق أفضل من إسرائيل». ثم سألني: «هل رأيت في أثناء هبوطك في المطار، طائرة فولويل التي قدمها له الإسرائيليون؟».

على الرغم من أنني لم أر الطائرة، إلا أنني عندما كنت في القدس سمعت فولويل يقول لوزير الدفاع (الإسرائيلي السابق) موشي أرينز: «أريد أن أشكرك على الطائرة النفاثة التي قدّمتها إليّ».

وبينما كنا لا نزال في المطار، أشار الدكتور برايز إلى مستودع كبير وقال: ها هي الطائرة. إنها من نوع ويندستريم. يتراوح ثمنها بين ٢,٥ و ٣,٥ مليون دولار. أما ثمن قطع الغيار فتبلغ حوالي نصف مليون دولار. إن مصدر معلوماتنا طيّار يعرف طيار فولويل. ويفاخر فولويل بأنه يطير حوالي عشرة آلاف ميل في الأسبوع في هذه الطائرة بهدف دعم المرشحين السياسيين المفضلين لديه.

وبتشجيع من أصدقائه من قادة اليمين الإسرائيلي حلم فولويل منذ سنة ١٩٦٧ بأن يصبح رئيساً لأكبر منظمة بروتستانتية في أمريكا وهي المحفل المعمداني الجنوبي. وفي تلك السنة بالذات التقى كاهن قدري آخر هو بيج باترسون من دالس مع بات برسلر وهو منظّر أيديلوجي وله طموحات سياسية أيضاً.

ويذكر وليم ستيفنس من «مجلس مدرسة الأحد المعمدانية» أن باترسون وبرسلر بسيطرتهما على المحفل المعمداني الجنوبي كانا يعرفان دون شك أنهما يتمتعان بدعم اليهود الأمريكيين وكذلك بدعم القادة الإسرائيليين. وقال ستيفنس أيضاً: وهكذا فإن القوة الدافعة وراء السيطرة على المحفل هي استخدامه قاعدة للتأثير على السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل.

إن الأهداف المتزايدة التي يحقّقها اليمين الديني في السياسة المحلية يمكن ملاحظتها من خلال التطورات التالية:

* في نهاية ١٩٧٠ شكّل جيري فولويل «الأكثرية المعنوية» ومهمتها التفرّغ لقضايا التصويت على القضايا المحلية وفقاً لتوجيهاته. وقد ظهرت جماعات مماثلة أخرى مثل «الطاولة المستديرة الدينية» التي أنشأها أ. ماك إيثر- من ممفيس - تنسي.

ولقد مهّدت رئاستا ريجان وبوش، اللذين يدين كل منهما بانتخابه لليمين المسيحي الجديد، هذه الأرض لنموّ مثمر. ويقول جيفري هادن الأستاذ في جامعة فيرجينيا إن «قوة اليمين المسيحي أصبحت واضحة بصورة خاصة خلال إدارة ريجان». وإن بناء «التحالف المسيحي» بدأ، و يتعزز مع المبشرين القدريين في الإذاعات ومحطات التلفزة، وكذلك مع الملايين من أتباعهم». لقد عبّر

ريجان عن وجهة نظر القدريين عندما قال : «لأن المسيح أصبح على الأبواب فإن الاتفاق على الشئون المحلية يجب ألا يحمل على محمل الجد» .

ويقول جيمس ميلز مسئول حكومي سابق في كاليفورنيا إن «معظم قرارات ريجان السياسية كانت مبنية على تفسيراته اللفظية للنبوءات التوراتية» . «ولقد قاد هذا الأمر ريجان إلى الاعتقاد بأنه لا يوجد سبب للاضطراب بشأن الدَّيْن الوطني إذا كان الله سيطبق على العالم كله » .

وقال ميلز : لا يمكن فهم أسباب تأييد ريجان لجماعة غانج ـ هو المحافظة ـ إلا في ضوء قدرية الرئيس. لماذا يهتم بالادخار ؟ لماذا يضيع الوقت والمال في حفظ أشياء لأجيال المستقبل ؟ وتبعًا لذلك فإن كل البرامج المحلية خصوصًا تلك التي تتطلب تخصيص رأس مال لها يمكن ويجب اختصارها تحريراً للمال من أجل شن حرب هرمجيدون .

* في عام ١٩٨٠ خلال عقد الثمانينيات، عمل العديد من قادة اليمين الديني على إعداد برامجهم بحيث تولي هذه البرامج اهتمامها بقضايا مثل الصلاة في المدارس، ومعارضة الإجهاض، ومعارضة القتل الرحيم، وبكيفية انتقال الأمة (الأمريكية) من الديمقراطية إلى الأوتقراطية .

* في عام ١٩٩٦ ، وخلال مؤتمر الحزب الجمهوري، لاحظ كريستوفر كالدويل الكاتب في صحيفة أطلنتيك الشهرية أن «المسيحيين المحافظين عملوا على جعل أفضلية تعدديتهم الحزبية أفضلية دائمة وقائمة على مؤسسات » .

كذلك قال رالف ريد من «التحالف المسيحي» إن أهل العقيدة يؤدّون دوراً رئيسًا الآن في النقاش السياسي وفي الانتخابات السياسية .

* في عام ١٩٩٨ تمكّن اليمين الديني من حشد الأكثرية في المجلس (الكونجرس) للتصويت في مصلحة تعديل المادة المتعلقة بالحريات الدينية في الدستور. لم يكن ذلك كافيًا لإقرار التعديل لأن الدستور (الأمريكي) يوجب توافر ثلثي الأصوات في كل من مجلس الشيوخ ومجلس النواب وموافقة ثلاثة أرباع الولايات ـ ويقول ولتون كادي من «تحالف الأديان المتعددة» : «إن التعديل خطّط بشكل واضح للقضاء على فصل الكنيسة عن الدولة » .

* في عام ١٩٩٨ أيّد اليمين الديني مرشحين فازوا في الترشيح لمقاعد مجلس الشيوخ في (ولايتي) الينوي وكانتكي وفي مجلس النواب في (ولايات) إيداهو وإندانيا وأوهايو وواشنطن.

إلا أن مرشحيهم لمنصب الحاكم هزموا في ألاباما وجورجيا ونيوهامشير وجنوب كارولينا. كما هزم مرشحوهم لمقاعد الشيوخ في كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وواشنطن وويسكونسن. وبسبب هذه الهزائم فإن المذيع الديني ذا النفوذ إد دوبسون دعا إلى استقالة سريعة للقيادة. فتوارى نيوت جينجريتش رئيس مجلس النواب.

في مقال للكاتب ألبرت ر. هانت نُشر عام ١٩٩٨ في صحيفة وول ستريت جورنال، قال هانت: «إن اليمين المسيحي يجري اختبارات دقيقة لتحديد عقائد الناس».

إنهم يعتبرون من يصوّت مع تحديد العضوية في الكونجرس، ومع تعديل الدستور بحيث يصبح من الصعب فرض ضرائب، ومع توفير النفقات الطبية، على أنه من «أهل العقيدة». وكذلك إذا صوّت ضد القيود على حمل السلاح خفية، وضد مؤسسات الخدمات الشرعية، وضد إنفاق مزيد من المال قروضًا للطلاب.

وكتب هانت في مقالته أيضًا إن اليمين الديني في تكساس يحكم على المرشحين لمناصب سياسية في ضوء مواقفهم من قضايا «مسيحية» مثل الضرائب التي تفرضها الولاية على السيارات. وفي كاليفورنيا فإن دليل الاقتراع المعتمد لدى «التحالف المسيحي» يبدو أشد سوءاً. ففي الانتخابات الأخيرة التي جرت في كاليفورنيا، كان يُحكم على المرشحين بأنهم أقل التزامًا بالعقيدة (المسيحية) إذا صوتوا ضد إجراء تعديل دستوري يزيد من صعوبة فرض الضرائب.

* في عام ١٩٩٩ قاد المحافظون المسيحيون حملة اتهام ضد الرئيس كلنتون. وقبل ثلاثة أشهر من تصويت الكونجرس على الاتهام لاحظت المعلقة إليزابيث درو « أن اليمين المسيحي الذي يعتبر القاعدة الأقوى داخل (الحزب) الجمهوري هو الذي يطالب بالاتهام. وأنه لن يغامر سوى القليل من الجمهوريين في التصدي لذلك». وقالت: «إن دعم اليمين المسيحي هو أكثر أهمية بالنسبة لمعظم الجمهوريين من تصنيف مقبول لوظيفة الرئيس».

ومن مواعظ ثيم أن الفترة الرهيبة في المحنة الكبرى هي «فترة يأس الشيطان»، وسيحدث ذلك في نهاية الزمن، أي في الوقت الذي تقع فيه المعركة الأخيرة التي تدمر الكرة الأرضية. ويوصي ثيم كقدري لأتباعه بألا يقلقوا: سينعمون بالنشوة الكبرى ويُنقذون من الدمار.

لقد تحدث وكتب جون ف. بوخ. وهو رجل أعمال ناجح ومن كبار المعمدانيين العلمانيين في هيوستن - كيف أن رجلين حوّلا واحدة من أهم المنظمات الدينية إلى قاعدة سياسية لانتخاب المرشحين الذين يختارانهما ليحققا قوة شخصية.

يبلغ بوخ من العمر الثمانين عامًا. وهو الآن على رأس مجموعة مؤسسات ضخمة على الرغم من أنه بدأ بمساعدة زوجته إيلا ماي. فقد شيّد مؤسسة للأعمال سرعان ما أصبحت الخلية المركزية لتوزيع المواد الغذائية في الولايات المتحدة.

وبعد أن قرأت كتابه الموثق «المعركة من أجل معمدانية واحدة» وبعد مراسلات عديدة معه، طرت إلى هيوستن في عام ١٩٩٦ لأستمع شخصيًا منه إلى آرائه حول سيطرة المتطرفين المسيحيين على المحفل المعمداني الجنوبي، أكبر المنظمات البروتستانتية على الإطلاق.

أخبرني بوخ أن المصادرة العدائية لم تكن بسبب (خلاف على) النص الديني، ولكنها كانت من أجل السلطة والسياسة، لقد بقي المحفل المعمداني الجنوبي طوال ١٥٠ عامًا مجسِّدًا لتضامن أصحاب عقيدة واحدة. وخلال هذه الفترة الطويلة أقام المعمدانيون الجنوبيون أعمدتهم اللاهوتية المميزة، بما فيها: كهنوتية كل المؤمنين - أو الحرية الذاتية - واستقلالية الكنيسة المحلية وفصل الكنيسة عن الدولة. وعندما أنشئ المحفل في أوجوستا، جورجيا في عام ١٨٤٥، حافظ باستمرار على تقاليد لاهوتية مشتركة، وتجاوز الكثير من النقاش حول النص الديني. وقال بوخ أيضًا: ولكن في عام ١٩٦٧ التقى لأول مرة رجلان هما بول برسلر وبيج باترسون وخططا لمصادرة المحفل. وفي عام ١٩٧٨ وجها الدعوة إلى أصوليين آخرين للانضمام إليهما. وفي العالم التالي وخلال اللقاء الوطني للمحفل في هيوستن تمكّن باترسون وبرسلر من السيطرة، وفرضا مرشحهما القدري إدريان روجر - من ممفيس - رئيسًا.

فسألته : كيف جرت عملية التصويت ؟ فأجاب : «تمّت من خلال المندوبين الذين أطلق عليهم «الرسل» . فحتى عام ١٩٧٩ كان تصويت المندوب يعكس رغبة الأكثرية (التسعين بالمائة من المعمدانيين الذين يمثلون الخط العام) . لم يسبق أن صوّت المندوبون للأصوليين الذين يمثلون العشرة بالمائة الباقية . إلا أنه بانتخاب روجرز انقلب الوضع رأسًا على عقب . فقد سجلت اللجنة التنفيذية على الفور وقوع «تجاوزات» ، وكمثال على ذلك ، فان بيسلر الذي لم ينتخب رسولاً من كنيسته ـ كنيسة هيوستن المعمدانية الأولى ـ شارك مع ذلك بالانتخابات ، وعندما جوبه بهذا التناقض ادعى بأنه عضو شرف في كنيسة أخرى فوّضته ، مما يشكل انتهاكًا لقانون المحفل .

وتحدث بوخ عن تجاوزات أخرى وثقها الدكتور كرادي كوثن في كتابه : «ماذا حدث للمحفل المعمداني الجنوبي » . وتتناول هذه التجاوزات بعض الكنائس التي تجاوزت الحد القانوني وهو عشرة رسل عن كل كنيسة ومنها أيضًا أن بعض الرسل سُجِّلوا مرتين .

وقال بوخ إن أحد القساوسة سجل نفسه وزوجته وأربعة من أولاده . وعندما سئل عن ذلك اعترف بأن الأولاد لم يكونوا في المحفل . وذكر قسيس آخر أنه شاهد رجلا يؤشر على إحدى عشر ورقة اقتراع ويضعها كلها في الصندوق . وبهذه الوسائل تمكن الأيدولوجيون من السيطرة على مؤسسة لم يموّلوها ولم يؤيّدوها ولم يبنوها . وقد شملت غنائمهم ما يلي :

* تبلغ قيمة ممتلكات المحفل أكثر من عشرة مليارات دولار . إنهم يسيطرون الآن في المقر العام للمحفل في ناشفيل على هبات العُشر مع فوائدها المتراكمة والتي تبرّع بها الملايين من المعمدانيين الذين يمثلون الخط العام .

* هناك ١٩ وكالة ومؤسسة بما فيها المجلس الخارجي للمبشرين ، ومجلس التقاعد الذي يمسك بمليارات الدولارات من ودائع المتقاعدين القساوسة المعمدانيين الذين يتراوح عددهم بين ٥٠ ألفًا و١٠٠ ألف قسيس ، ومجلس مدارس الأحد وهي أكبر دار نشر للمواد الدينية في العالم والتي تملك مؤسسة برودمان هيلمان للصحافة في ناشفيل .

* هناك ستة مراكز معمدانية جنوبية يبلغ عدد الطلاب المسجلين فيها حوالي ١٠ آلاف طالب. ومنذ بداية هذه المراكز وهي تتلقى الدعم والتمويل من معمدانيين معتدلين. ولم تحصل إلا على القليل جداً من الأصوليين الذين يسيطرون عليها الآن.

ويقول بوخ :

من خلال السيطرة على ١٩ مؤسسة ومعهد وعلى ستة مراكز وعلى مليارات الدولارات من الودائع، فإن الأيديولوجيين تأهلوا لأداء دور أساسي في الانتخابات المحلية والوطنية. وقال إنهم اتخذوا هذه الخطوات من أجل تحويل المحفل المعمداني الجنوبي قاعدة سياسية.

* في عام ١٩٨٢ تبنى المحفل قراراً مؤيداً لتعديل دستور الولايات المتحدة بما يعزز القدرة التشريعية لدى الولايات، وربما يمكن مجالس المدارس المحلية من كتابة نصوص الصلاة وإقرار تلاوتها في المدارس الأهلية.

* في عام ١٩٨٦ أعلن باترسون أن أي موظف جديد في المحفل يجب أن يقر بوضوح أنه ـ أو أنها ـ ضد الإجهاض، وضد الموت الرحيم، ومع الصلاة في المدارس.

* في عام ١٩٩٢، في محاولته السيطرة على فريق الضغط المعمداني في واشنطن العاصمة والذي يعرف باسم اللجنة المعمدانية المشتركة للشئون العامة، احتفظ المحفل لنفسه بكل ممتلكات هذا الفريق. وفي الوقت نفسه وظف المحفل «الهيئة المسيحية للحياة» في سلطة سياسية أكبر. وبذلك ناقض الموقف المستمر منذ القدم للمعمدانيين الجنوبيين، والذي يدعو إلى الفصل بين الكنيسة والدولة. فالمحفل من خلال «الهيئة المسيحية للحياة» سعى وراء أموال الضرائب للمؤسسات المعمدانية وحتى للكنائس.

* في عام ١٩٩٨ قام أحد كبار مسئولي المحفل جيمس ن. درابر بحملة قوية لمصلحة بات روبرتسون في سعيه للحصول على موافقة الحزب الجمهوري على ترشيحه للرئاسة في الولايات المتحدة.

* في عام ١٩٨٩ـ ١٩٩٠ عمل بسلر رئيسًا للمجلس السياسي الوطني، وهو مجلس سري للغاية يتألف من فريق من المفكرين والبحاثة المحافظين جدا.

* في عام ١٩٩٨ تطلع جميع كبار مسئولي المحفل للقاء رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو مقدمين دعمهم لرزنامته ومتلقين دعمه لرزنامتهم. وفي عملية استخدام المحفل قاعدة سياسية فإن فريق باترسون ـ برسلر عمل على السيطرة على عقول سائر الموظفين. وقال بوخ: «لدينا مئات الأمثلة كيف كانوا يضغطون على المسيحيين للخضوع لامتحان اختبار حول معنى أن يكونوا مسيحيين، فهم ليسوا مهتمين بديانة العامل أو العاملة إنما بالسيطرة على عقله أو على عقلها؛ لكسب الولاء الكامل لهم ولرزنامتهم السياسية».

مثال ذلك، طرح وليبورن ت. ستانسيل، أستاذ معروف في معهد ميدوسترن اللاهوتي في مدينة كانساس آراء مماثلة حول الكتاب المقدس. غير أن القائمين على المعهد طلبوا منه التوقيع على وثيقة يدعي فيها أنه «معصوم» ولكنه رفض. وقد طرد من منصبه لدعمه الميثاق المعمداني التقليدي بشأن «حرية النفس».

وقال بوخ إنه بالنسبة لحالة راسل ديلاي، فقد انتخب في عام ١٩٧٨ رئيسًا لمعهد سوث وسترن اللاهوتي في فورت وورث، وهو أكبر معهد لاهوتي في العالم. وقد عرف عن دلاي الفطنة والفعالية. مع ذلك فقد دعا المعمدانيين بلا وجل إلى وضع المسيح، وليس السياسة، على رأس رزنامتهم. وفي ٨ مارس ١٩٩٤ تمكّن الأصوليون من طرد ديلاي.

وقال بوخ: «يريد الأيديولوجيون في سعيهم للسيطرة الكاملة على العقول إخضاع كل النساء. ففي عام ١٩٩٨ أقروا تعديلا جديدًا أصبح الآن مادة في عقيدة الطائفة، ينص على أن على الزوجة أن تخضع عن طيب خاطر لخدمة قيادة زوجها». «وكان على جميع الموظفين رجالا ونساءً الحريصين على الاحتفاظ بوظائفهم أن يجدّدوا تأكيدهم بالاعتراف بالتعديل الجديد، وأن يفعلوا ذلك خطيا أيضًا».



المقايضة اللاهوتية

سيطر اليمين الإنجيلي الجديد على قيادة المحفل المعمداني الجنوبي الذي يمثل أكبر طائفة بروتستانتية . فغيّر مواقعه اللاهوتية التي تمسّك بها طويلا وأعطى بدلا من ذلك الأفضلية للسياسة .

- سيدني. بلومنثال - صحيفة نيوريبابليك - عدد ٢٢ أكتوبر ١٩٨٤

جيمس وات

لا أعرف عدد أجيال المستقبل التي يمكن الاعتماد عليها قبل أن يعود السيد (المسيح).

جيمس وات ، وزير الداخلية الأمريكي ١٩٨٣-١٩٨٢ في حديث له أمام لجنة العلاقات الداخلية في الكونجرس لتفنيد آراء تتعلق بالمحافظة على الثروات الطبيعية.

الأفضلية اليهودية

لا يمكن تجاهل إدراك قادة اليمين الديني إلا أن إقامة علاقات إيجابية مع الجماعة اليهودية له الأفضلية سياسيًا واجتماعيًا .

- جيمس ريثلي - الولاء والسياسية

دعم لوبي السلاح

يؤمن الملايين من الأصوليين المسيحيين بأن الصراع الأخير بين قوى الله وقوى الشيطان سوف يبدأ في أثناء حياتهم . ومع أن معظمهم يأملون في أن يُرفعوا إلى السماء قبل أن تبدأ المعركة ، فإنهم لا يزالون غير سعيدين لاحتمال تجريد المسيحيين من سلاحهم من طريق حكومة قد تكون تحت سيطرة العدو . يبيّن هذا الخط الفكري أسباب دعم الأصوليين القوي للحركات الميليشيايوية التي تخدم بنظرهم هدفًا مزدوجًا بإعادة ربط الأمريكيين بجذورهم التاريخية وإعدادهم في الوقت نفسه للمعركة الكارثية التي ستاتي .

إنها تبين أيضًا لماذا اعتبر الملايين من المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس أنفسهم، وبقوة، داوديين (نسبة إلى دافيد كورش زعيم حركة دينية ضربتها قوات الأمن الأمريكية في داكو – تكساس) .

- داميان ثوميسون : « نهاية الزمن : العقيدة والخوف في ظل الألفية»

المستقبل

لا أعتقد أنه بالإمكان أن يبقى المعمدانيون الذين يضعون المسيح في المقام الأول في حياتهم ، في معسكر الأصوليين القدريين حيث السياسة تحتلّ الأفضلية الأولى. إنني أؤيد هيربرت رينولدز رئيس جامعة بايرول عندما تحدى عامة المعمدانيين بالتحرك بما يتجاوز «سياسة المجارير» التي ينتهجها المحفل المعمداني الجنوبي.

وفي ضوء حجم وقوة وغنى المعمدانيين في تكساس قدم هؤلاء هبات في عام ١٩٤٨ تصل إلى ١٠٠ مليون دولار تقريبًا – فإن للمؤتمر المعمداني العام في تكساس من القدرات ما يمكنه من توحيد العديد من الفروع الثانوية ، سواء بصورة رسمية أو غير رسمية في شخصية معمدانية جديدة .

نحن معمدانيي تكساس نمثل تاسع أكبر طائفة في أمريكا – إذ يبلغ عدد الأعضاء

حوالي ٣ ملايين – ونستطيع أن نصنع فرصنا وأن نشق طريقنا للخدمة . لم نخسر . إننا عندما نضع المسيح فوق السياسة نعرف – كما يقول المعمداني طوبي دروين– : أن عندنا مسيحًايستحق أن يُتَبع .

ـ جون ـ ف ، بوخ ـ قائد المعمدانيين العلمانيين ـ هيوستن ومؤلف : «المعركة من أجل معمدانية واحدة »

قوة اليمين المسيحي

يستخدم التحالف المسيحي في عام ١٩٩٩ موازنة سنوية تبلغ ١٧ مليون دولار لتوظيف مائة ألف شخص يعملون ضباط ارتباط بين التحالف وجماعات دينية محددة . وفي إطار الحزب الجمهوري يتمتع اليمين المسيحي بقوة مؤسساتية هائلة . إنه يخطط لاختيار الرئيس المقبل للولايات المتحدة .

ـ القس والتون كادي ـ المدير التنفيذي لتحالف التعدد الديني واشنطن ـ العاصمة

يمثّل اليمين المسيحي أكثر من ثلث أعضاء الحزب الجمهوري جميعهم . إنهم يسيطرون على منظمة جوب في ٢٠ ولاية ، ويشكلون قوة كبيرة في ١٢ ولاية أخرى على الأقل .

ـ وليم مارتن ، أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة رايز

الوقت المحدد للجميع

كان لأمريكا رئيس لمدة ثماني سنوات – ريجان – آمن بأنه يعيش في مرحلة نهاية الزمن ، وتمنى أن تاتي النهاية خلال رئاسته .

ـ فرانك كيرمود . «نظرية الكارثة ونهاية العالم»

خاتمة

الصفات الإلهية

اتسعت شهرة القدرية ، وهي نظام إيماني جديد نسبيًا يقلّ عمره عن ٢٠٠ سنة - في السنوات الأخيرة اتساعًا ملحوظًا. وهناك أربع صفات أساسية للقدرية :

أولاً : هؤلاء الذين يبشّرون بعقيدة هرمجيدون هم لا ساميون. فجيري فولويل وغيره من القدريين يبدون حبًا جامحًا لإسرائيل. لا أحد ولا حتى الإسرائيليين يعلنون بصراحة أكثر عن تأييدهم للدولة اليهودية بلا قيد أو شرط. غير أن دعمهم لإسرائيل لا ينطلق من شعور بالذنب بسبب اضطهاد سابق ارتكبوه، أو حتى من تعاطف مع اليهود الذين عانوا خلال المحرقة - الهولوكوست - إنما ينطلق دعمهم من قاعدة أخرى وهي أنهم يريدون أن تقوم إسرائيل «في مكان» ليكون هذا المكان محطة نزول المسيح في مجيئه الثاني. وفي الوقت نفسه فإن فولويل وغيره من القدريين يتحدثون باحتقار عن اليهود كيهود.

ثانيًا : ينظر القدريون نظرة ضيقة لله وللبلايين الستة من البشر على الأرض. إنهم يعبدون إلهًا قبليًا لا يهتم إلا بشعبين فقط هما اليهود والمسيحيين. ويقولون إن كل ما هو مهم لهم كمسيحيين يتمحور حول إسرائيل. إنهم يتمسّكون بفكرة تقول إن الله وضع اليهود، الذين يبلغ عددهم الآن حوالي ١٤ مليونًا، على مسار «أرضي». ووضع ملياراً من المسيحيين على مسار «سماوي». أما الملايين الخمسة الباقون من البشر فإن شاشة الرادار الإلهي لا تسجل وجودهم إلى أن يدعوهم الله للتقدم إلى محرقة هرمجيدون.

وعلى الرغم من نظرتهم الضيقة إلى الله وإلى الكون، أو بسببها، فإن للقدريين.

صفة ثالثة : وهي أنهم يعتقدون بجزم أنهم يفهمون عقل الله. إنهم يطرحون سيناريو كالنص السينمائي يكشف مع الوقت عن حقب (زمنية) أو عمّا هو مُقَدّر : نهاية سعيدة وهروب من نهاية الزمن عبر ما يسمى بالنشوة الدينية، لقلة من المختارين أمثالهم.

وكما يقول القس المشيخي المتقاعد همفري والتز فإنهم يستقطبون اهتمام أولئك الذين يريدون أن يشعروا بأنهم من مجموعة «داخلية» على معرفة بالأسرار وبالمعلومات العميقة وبالوحي.

ويقول ج. أ. ويلز في كتابه «الأصوليون الجدد» : «إن الرغبة باليقين تكشف عن تطلع الملايين إلى الثقة بسلطة القادة الأفراد. فسلطة الأصوليين الإنجيليين الكبار هي أكبر بكثير من سلطة المطارنة أو غيرهم من القادة في المؤسسات الكنسية وهي أكبر من سلطة العلماء واللاهوتيين في المسيحية الليبرالية. إن نجاحهم اليوم في كسب الأتباع على نطاق واسع يزيد بصورة طبيعية من ثقتهم بأنفسهم إلى درجة يعتقدون معها أنهم ملهمون حقّاً».

ويشكل الإيمان بالجبرية ـ القضاء والقدر ـ **الصفة الرابعة**. يقول القدريون إن العالم يزداد سوءاً وإننا لا نستطيع أن نفعل شيئًا إزاء ذلك. إنهم ينتقدون، بشدة، الوضع الراهن ولكنهم لا يبذلون أي جهد لتغييره نحو الأفضل. إن كهنتهم يبشّرون بإله الغضب والانتقام والحرب. إنهم يعلنون أن الله لا يريدنا أن نعمل من أجل السلام، إنما يطلب منا أن نشن حرباً نووية تدمّر الكرة الأرضية.

ويقول الكنسي البريطاني روبرت جيوبت : إن من النتائج الجانبية المرعبة للاعتقاد بأن الله قضى مسبقًا بهرمجيدون هو أنه يصبح من اليسير «خلق» الحالة الموصوفة، بحيث إنّ التفسير يقود إلى تحقيقها.

ويقول ستيفن أولبري مؤلف «مناقشة النهاية الكارثية» : «إن القضية الحقيقية هي أن الكيفية التي يجري فيها تفسير نبوءة نهاية الزمن تكون كل توقعاتنا، بحيث إنها تجعل الحرب النووية تبدو تحقيقاً شريراً لقدر إلهي».

في المواعظ التي استمعت إليها من جيري فولويل وتيم هاي وجون هاجي ومن

غيرهم من القساوسة القدريين، لم أسمع أي ذكر لحب المسيح الذي يغمر الكون. ولم أسمع أي ذكر لموعظة الجبل.

لقد سمعت فولويل يصرخ: إن المسيح لم يكن جبانًا مخنّثًا. إنه وغيره من لاهوتيي هرمجيدون يصوّرون المسيح على صورة جنرال بخمسة نجوم، يمتطي جوادًا ويقود جيوش العالم كلّها مسلحًا برءوس نووية، ليقتل المليارات من الناس المؤمنين.

ويقول جون كروسّان في كتابه «ولادة المسيحية»: «إن تعاليم المسيح الأساسية كانت ضد العنف». ويقول كروسّان: «علّم المسيح الإيمان الحقيقي بالمساواة الاجتماعية». وفي فصل من الكتاب بعنوان: «صفات الله»، يقول كروسان: «إن المسيح يرفض أي رؤية تتطلب إلهًا غاضبًا ومنتقمًا».

ومن أجل إيجاد «جنّة جديدة وأرض جديدة» مع جيران يعيشون بسلام، نستطيع أن نجد في أي ديانة عظيمة وحقيقية كلمات تعلّمنا كيف نعامل الآخرين كما نحب نحن أن نُعامَل. أي بعدالة وبمساواة وبتفهّم وعطف. إن كل واحد منّا يستطيع أن يختار صفة خالقنا الإله الذي يريد أن يتبعه: إما إله الحرب أو إله الحب الكوني والسلام.

* * *

يد الله

هذا الكتاب يحتوى على كمٍّ هائل من المعلومات والمراجع والتحليلات الجديدة والموثّقة التى تشكل مرجعاً لابد منه لكل مهتم أو باحث فى الشئون الدينية، وبمدى تأثير الحركة الأصولية المسيحية فى الولايات المتحدة على المجتمع الأمريكى، وعلى أصحاب القرار في البيت الأبيض وفى الكونجرس على حد سواء.

ويبين هذا الكتاب أن اللاسامية لاساميتان، الأولى تكره اليهود وتريد التخلص منهم وإبعادهم بكل الوسائل الممكنة، والثانية تكره اليهود أيضاً بَيْدَ أنها تريد تجميعهم فى مكان محدد، هو فلسطين؛ ليكون هذا المكان مهبط المسيح فى مجيئه الثانى المنتظر.

إن قراءة هذا الكتاب، بل دراسته، واجب على كل عربى مسلم أو مسيحى، وأنه يجيب عن علامة الاستفهام الكبيرة التي تلازم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط منذ قيام إسرائيل. وهى لماذا تدوس الولايات المتحدة على مصالحها الحيوية في المنطقة استرضاءً لإسرائيل؟ وكيف ولماذا تجعل الولايات المتحدة من إسرائيل وليس من مصالحها ومبادئها العامة الأساس الثابت لسياستها فى الشرق الأوسط؟ ومن الذى يعمل على تعزيز هذا الثابت وتأكيده ورفعه إلى مستوى المقدسات؟

الغلاف للفنان حلمى التونى

دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت: ص.ب : ٨٠٦٤ هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨٠٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)